حقيقة الإيمان

عند أهل السنة والجماعة

كتبه فضيلة الشيخ

سعد سعيد أحمد عبده

عفا الله عنه

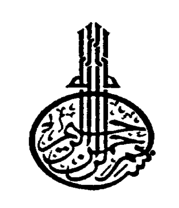






حقيقة الإيمان

عند أهل السنة والجماعة



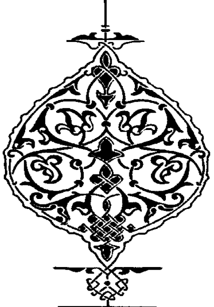


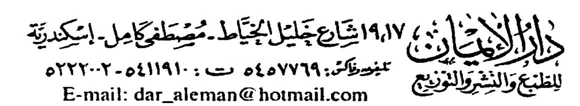
رقم الإيداع

٢٠٠٧/٨٨٢٧

الترقيم الدولي

977-331-452-9





مُقدِّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب: ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد:

فقد طَفَتْ على السطح في الآونة الأخيرة ظاهرة خطيرة قد تودي بالصحوة الإسلامية، ولا أكون مبالغاً إن قلت أنها كادت أن تصيبها في مقتل، حتى أنها أثقلت خطاها وألجأتها إلى التوقف في المكان هنيهة من الزمن، وبعدما جدَّت في السير بدا عليها شيء من الإعياء والوهن، ولئن سألت عن هذه الظاهرة، قلتُ لك إنها تعالم الأقزام.

فقد ظهر في الساحة بعض الأقزام - ممن ينسبون أنفسهم للعلم والعلم منهم براء - ولقزامتهم لا تكاد العين أن تقع عليهم، فلما شعروا أنهم بعيدون عن مجال الرؤية، تخيروا بين حُلولهم الرديئة التي تتماشى مع طبيعة نفوسهم، فلم

يجدوا حلاً أنسب من أن يقفوا على أكتاف جبال من أهل العلم حتى يتسنى لهم الظهور، فخابوا وخاب مسعاهم .

فبدأ هؤلاء الأقزام يتطاولون على معظم أهل العلم، فلم يسلم منهم أحدٌ، فرموا كل واحد بتهمة تئن لحملها الجبال، وظنوا بذلك أنهم يصعدون، ولكنهم انحدروا واندحروا بعدما تركوا بعض أهل العلم مطعون فيهم، فلا هم ارتقوا ولا هم تركوا القافلة تسير[١].

وقد تبنَّوا بعض الأفكار وطرحوها على الساحة، وبدأوا يصنِّفون الناس على أساسها، ومن أهم القضايا التي راجت في هذه الأيام، قضية حقيقة الإيمان، فنظرتْ كل فئة إلى هذه القضية من جانب، وظنتْ أنها على صواب، ومن خالفها رموه بأشنع البلايا، وسبُّوه بأقذع سباب، فطائفة رمت الأخرى بالإرجاء، وردت عليها الثانية بالاتهام بالتكفير، وانقسم المنتسبون للالتزام تبعاً لذلك من وجهة نظر الرائي إلى فئتين: مرجئة دعاة إلى ترك العمل، أو خوارج يدعون لتكفير مرتكب الكبيرة [٢] . [٣].

---

(١) يقول الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل: إن الميدان الدعوى اليوم يموج بحالة من الخلل الناشىء عن « التضخم الكمى » الذي فرض نفسه على حساب « التربية النوعية » الأمر الذي أفرز كثيراً من الظواهر المَرَضية من أخطرها تطاول الصغار على الكبار، والجهال على العلماء، وطلبة العلم بعضهم على بعض، حتى إن الواحد منهم ينسى قاموس التآخي، وما أسرع ما يخرج إلى العدوان على إخوانه، ويجردهم من كل فضل، فلا يحلُم ولا يعفو ولا يصبر، ولكن يجهل فوق جهل الجاهلينا، بل إن من طلاب « آخر الزمان » من غاص في أوحال السب والشتم والتجريح، وانتدب نفسه للوقيعة في أئمة كرام اتفقت الأمة على إمامتهم، وهو لا يدرى أنما ذلكم الشيطان يستدرجه إلى وحل العدوان، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، ويتوهم أنه يؤدى ما قد وجب عليه شرعاً. فرحم الله من جعل عقله على لسانه رقيباً، وعمله على قوله حسيباً. من كتاب حرمة أهل العلم ص ١٠ .

(٢) يقول الشيخ / محمد حسين يعقوب في شريط بعنوان « الموفق من يحبه الله » : هناك رسالة للعلامة / بكر أبو زيد ، ينبغى أن نتعلمها وتكون منهجنا وهى تصنيف الناس بين الظن واليقين .

(٣) كثُرت المؤلفات عن فقه الخلاف، ومنها تستطيع أن تعلم من يخالفك، وفيما يخالفك، وما نوع الخلاف في المسالة، ولكن ما الأدب الذي يجب أن يلتزمه المختلفون فيما بينهم، وبخاصة إذا كان الخلاف سائغاً ؟، فالكلام فيه عزيز، لذا أرجو أن يقر أعيننا واحد من أهل العلم الثقات بمصنف جامع في « أدب الخلاف » ، لان ما وصلنا إليه في هذه الأيام إنما هو ناشئ في المقام الأول عن سوء أدب تولَّد عن قلة علم صحيح، مع انعدام أو ضعف في التربية.

وبدأت الكتابات تكثر في هذه الأيام حول هذا الموضوع ولكن معظم هذه الكتابات تخاطب طلاب العلم المتقدمين، وهي في جملتها إما اجتهادات يغلُب عليها التعصب للرأى، فهي من باب أصِّل ثم استدِل، أو ردود على تلكم الاجتهادات، أو محاولات لإثبات الحق والإنصاف في المسألة ولكن بأسلوب قد لا يعيه إلا الفَطِن اللبيب، وفي غمرة هذا الزخم كنت أكتب في كتاب بعنوان «الأصول الأربعة» يسر الله لي إتمامه عما قريب، فوجدتُني بغير قصد أكتب في هذه القضية ـ رغم أني لست أهلاً لذلك ـ لأنها أول أصل من الأصول الأربعة التي تناولتها في هذا الكتاب، فلما نظرتُ إلى ما كتبتُ وجدته مسلكاً وسطاً بين الفئتين، وبعبارة بسيطة تتناسب مع من أراد أن يعرف أصل المسألة بغير عناء، وقد سلكتُ في إثبات أصل حقيقة الإيمان مسلكاً يتوافق مع الفطر السليمة، اعتمدت فيه أصلاً نفيساً وهو أن أنقل كلام السلف بفهمهم لا بفهم الخلف، وأرجو أن أكون قد وُفِّقتُ في ذلك، وإن كان فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولبيان لزوم التمسك بفهم السلف في مثل هذه القضايا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبَّر الكتاب والسُنَّة، وما اتفق عليه أهل السُنَّة والجماعة من جميع الطوائف؛ أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال، والأقوال، والاعتقاد، وغيرها من كل فضيلة أن خيرها القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النَّبي ﷺ من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة من: علم، وعمل، وإيمان، وعقل، ودين، وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مُشْكَل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام،وأضله الله على علم،كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : من كان منكم مستنّاً فليستنَّ بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحابُ محمد أبرُّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلُفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسَّكوا بهديهم؛ فإنهم

كانوا على الهدى المستقيم، وقال غيره: عليكم بآثار من سلف فإنهم جاءوا بما يكفي وما يشفي،ولم يحدُث بعدهم خير كامنٌ لم يعلموه ...وما أحسن ما قال الشافعي رحمه الله في رسالته:هم فوقنا في كل علم، وعقل، ودين،وفضل، وكل سبب يُنال به علم،أو يُدرك به هدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا) [١] .

وقال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ:

(إنما تتميز الدعوة السلفية في هذا المجال الذي يُدندن الجميع حول الكتاب والسُّنَّة، أنهم يدعون إلى فهم الكتاب والسُّنَّة على منهج السلف الصالح، لا يكتفون فقط بدعوة المسلمين إلى الرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة، بل يزيدون على ذلك: الرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة على منهج السلف الصالح) [٢] .

وإنما نقلتُ لك هذا الكلام لأن بعض الذين يتشدقون بمقولة العمل بالكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة ـ في هذه الأيام ـ لا يرتضي إلا فهمه هو إن كان ممن ينسبون أنفسهم للعلم، أو بفهم شيخه إن كان من المقلدة، فاقول لهذا وذاك: لن يستقيم حالنا، ولن تُكتب لنا النجاة إلا إذا فهمنا ألفاظ السلف بفهم السلف، لأنه قد يتفق اللفظ ولكن شتان بين مفهومه عند السلف ومفهومه عند الخلف.

لذا استخرت الله أن أنتزع هذا الفصل من الكتاب، وأجعله في جزء مستقل بعنوان « حقيقة الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة »، وأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثقّل به ميزان حسناتي يوم القيامة، وأن يكشف به غمة، ويصرف به كربة ألمت بالأمة، وينفع به كاتبه، وقارئه، وناشره، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وهذه مجرد محاولة ممن لم يكن شيئاً مذكوراً، ولكن له قلب كم تحرَّق شوقاً

---

(١) مجموع الفتاوى ٤ / ٩٩ .

(٢) من تعليقه على محاضرة للشيخ/ محمد عيد عباسي عن الدعوة السلفية والمطبوعة باسم الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى ص ٣٣- ٣٤ .

لاتفاق به يُوحَد الصف، ويلتئم به الجرح، وخوفاً من خلاف كله شر، وبخاصة إذا كان المختلفون يجهلون علام يختلفون.

فلكم منه غنمه، وعليَّ منه غُرمه، والله المستعان وعليه التُكْلان، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وفي خاتمة هذه المقدمة ، يجدر أن أشير إلى أنه كان من المقرر ألا يُطبع هذا الجزء إلا بعد أن أعرضه على جملة من أهل العلم الثقات، ولكن لاح في الأفق سببان دفعاني لتعجيل طَبْعِه:

أما الأول: ما ظهر بسبب هذه القضية من التناحر والتدابر والتهارج والقطيعة والوقيعة وانشقاق الصف على المستوى العام للدعوة، ثم تفادح فضرب بجذوره حتى وصل إلى الحواري والأزقَّة.

وأما الثاني: فهو تشاغل بعض أهل العلم عن النظر في مثل هذه الأجزاء التي يتقدم بها إليهم بعض الأصاغر مثلي رغم خطورة الموضوع، وشناعة ما يترتب عليه، ولا أقول ذلك رجماً بالغيب ولكن من خلال من عرضتُه عليهم، وهذا نذير شر ، فلله أشكو الوائدين قضيتي، الناسجين بصمتهم أكفاني ، وبذا يكون حق الرد والتعليق مكفول للجميع على اختلاف مشاربهم ونزعاتهم. والله من وراء القصد وهو به عليم.

وكتبه

سعد سعيد أحمد عبده

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين







حقيقة الإيمان

وتحتوي على سبعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإيمان

المبحث الثاني : مراحل الإيمان وخطواته

المبحث الثالث : من لم يعمل خيراً قط

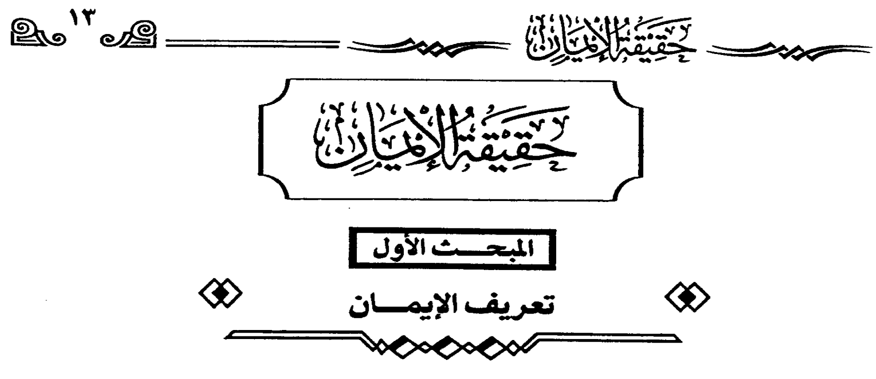
المبحث الرابع : الإيمان يزيد وينقص

المبحث الخامس : الإيمان يقوى ويضعف

المبحث السادس : العلاقة بين قوة الإيمان وزيادته وضعف الإيمان ونقصه

المبحث السابع : خلاصة القول في المسألة





المبحث الأول

تعريف الإيمان

تعريف الإيمان في اللغة: مطلق التصديق [١] .

وفي الشرع: عرفه الفضيل بن عياض بقوله: (الإيمان المعرفة بالقلب والإقرار باللسان والتفضيل بالعمل) [٢] .

وروى اللالكائي بإسناده عن سفيان بن سعيد الثوري أنه قال: (الإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السُّنَّة) [٣] .

وعن البخاري قال: كتبتُ عن ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمَّن قال: الإيمان قول وعمل، ولم أكتب عمَّن قال: الإيمان قول [٤] .

قال الإمام ابن جرير الطبري في كتابه (**التبصير في معالم الدين**) حاكياً مذهب أهل السُّنَّة في الإيمان: **فقال بعضهم : الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار**

---

(١) هذا الكلام فيه نظر، فليس كل مصدِّق مؤمناً، ففرعون كان على يقين من أن موسى عليه السلام رسول، ولكنه ما آمن به، وكذلك أبو لهب كان يعلم يقيناً أن محمداً ﷺ رسول؛ ولكنه لم يؤمن به، وكذا أبو جهل، والأمثلة على ذلك كثيرة، بداية من إبليس وحتى قيام الساعة، وسيتضح ذلك بالمتابعة فتنبه. ولمزيد إيضاح حول الفرق بين التصديق والإيمان راجع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٧ / ٣٥٠- ٣٥٣، ١٠ / ١٧٠، ١٧١ .

(٢) رواه عنه عبد الله بن أحمد باسناده في كتاب السُّنَّة ١٧٥ برقم ٧٤١ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة برقم ٣١٤ .

(٤) المرجع السابق برقم ١٥٩٧ .

باللسان، وعمل بالجوارح، فمن أتى بمعنيين من هذه المعاني الثلاثة ولم يأت بالثالث فغير جائز أن يقال إنه مؤمن، ولكنه يقال له : إن كان اللذان أتى بهما المعرفة بالقلب والإقرار باللسان وهو مفرط في العمل فمسلم [١] .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي في كتابه الاعتقاد باب القول في الإيمان : قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) ﴾ .

[الأنفال : ٢-٤] .

فأخبر أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال التي بعضها يقع في القلب، وبعضها باللسان، وبعضها بهما وسائر البدن، وبعضها بهما أو بأحدهما وبالمال، وفيما ذكر الله في الأعمال تنبيه على مالم يذكره، وذهب أكثر أهل الحديث إلى أن الإيمان يجمع الطاعات فرضها ونفلها [٢] .

وقال الإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني الملقب "بقوام السُّنَّة "في كتابه (الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة) : (الإيمان في الشرع عبارة عن جميع الطاعات الباطنة والظاهرة) [٣] .

وعرفه الإمام الراغب : (بأنه إذعان النفس بالحق على سبيل التصديق وذلك بإجماع ثلاثة أشياء : تصديق القلب ، وإقرار اللسان، وعمل الجوارح وفقاً للتصديق والإقرار) [٤] .

---

(١) التبصير في معالم الدين ص ١٨٨، ١٨٩ نقلاً من قراءة نقدية ص ٤٥ .
(٢) نقلاً من السابق ص ٥٧، ٥٨ .
(٣) نقلاً من السابق ص ٥٩ .
(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٦ .

وقال ابن القيم: (الإيمان حقيقة مركبة [١] من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ ، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً ، والانقياد له محبة وخضوعاً ، والعمل به باطناً وظاهراً ، وتنفيذه، والدعوة إليه بحسب الإمكان) [٢] .

وعرَّفه الألوسي بأنه: (التصديق بما عُلم مجيء النَّبي ﷺ به ضرورة، تفصيلاً فيما عُلم تفصيلاً، وإجمالاً فيما عُلم إجمالاً ، وهذا مذهب جمهور المحققين)[٣] .

وقال صاحب المنار: (الإيمان هو التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وقبولها واستسلامها) [٤] .

والملاحظ في هذه التعريفات، أن بعضها قد اقتصر على بيان الحد الأدني من الإيمان دون التعرض لمقتضيات الإيمان ومكملاته وثمراته، وتوسع بعضها في تفصيل ذلك، وبالأدق فكل هذه التعريفات تدور حول تعريف الإيمان الشرعي .

وأياً كان التعريف يتناول لفظ الإيمان عموماً، أم الإيمان الشرعى، فلابد أن نعرف أن الإيمان بأمر معين [٥] ، هو منتهى جملة مراحل أو خطوات مترتبة على

---

(١) هذه اللفظة يجب أن نقف معها وقفة مهمة، لأن البعض فهم منها أن الإيمان المطلق كتلة واحدة لا تتجزأ، وبالتالي إذا زال منها جزء زال ذلك الكل، ولما كان عمل الجوارح من الإيمان فمن ترك العمل فهو عندهم كافر، وطائفة أخرى نفت هذه اللفظة بالكلية هروباً مما وقعت فيه الفئة الأولى، وأخرجت العمل من الإيمان، وبالتالي من ترك العمل ليس بكافر، بل ناقص الإيمان، وما أظن أن ابن القيم قصد ما ذهب إليه أولئك أو هؤلاء، فالذي يقرأ كلامه إلى نهايته يعرف أنه يقصد أن الإيمان شُعب، والإيمان بكل شُعْبة من شُعَبه حقيقة مركبة من علم وتصديق ويقين وقبول ومحبة وانقياد وإخلاص، وهذا بإذن الله ما ساجتهد في إيضاحه لك من خلال هذه السطور.

ولزاماً عليَّ أن الفت انتباهك جيداً إلى انه لكي تتفهم حقيقة الإيمان، عليك أن تعرف أن الإيمان من الكليات التي تاخذ جزئياتها نفس صفاتها، و أنه مركب من شعب، وكل شُعْبة من شُعَبه يُطلق عليها إيمان، وما ينطبق على شُعْبة واحدة ينطبق على سائر الشُعب ومن ثم ينطبق على الكل.

(٢) الفوائد لابن القيم ص ١٤٧ .

(٣) روح المعاني للألوسي ١ / ٢٥٦ .

(٤) تفسير المنار ١ / ٣٢٦ .

(٥) أقصد بكلمة أمر معين معناها العام: وهو كل أمر تم إدراكه على حقيقته، والخاص: إذا كان في الشرع وبخاصة فيما يخص الإيمان فيُسمى شُعْبة، فمثلاً إماطة الأذى عن الطريق، أو صلة الرحم، أمور لكل منها مفهوم محدد، ولكنها إذا نُسِبت إلى الإيمان فهي شُعْبة من شُعَب الإيمان، لذا وجب التنبيه.

بعضها البعض كحبات عِقْد، فتُسلم الأولى إلى التي تليها، وترتكز الأخرى على سابقتها، ولا ينفك أولها عن آخرها، وتتداخل فيما بينها، ولابد لمن أطلق لنفسه العنان، وشهد لها بالإيمان، أن يمر بهذه المراحل، سواءً شعر بذلك أم لم يشعر، علم بذلك أم لم يعلم، فإن اجتمعت من أولها إلى آخرها سُمي صاحبها مؤمناً بهذا الأمر، وإن لم تُستكمل؛ كان صاحبها ناقص الإيمان بهذا الأمر، أو غير مؤمن به، أو إيمانه به ضعيف، وهذه الخطوات هي:

[١] العلم .

[٢] التصديق .

[٣] اليقين .

[٤] القبول .

[٥] المحبة .

[٦] الانقياد.

[٧] الإخلاص.



المبحث الثاني

مراحل وخطوات الإيمان

وفيه بيان هذه الخطوات تفصيلاً، وعلاقتها ببعضها البعض:

[١] العلم:

عرَّفه ابن عثيمين -رحمه الله- فقال: العلم إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً (١) .

وعرَّفه ابن القيم -رحمه الله- فقال: العلم نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس، ... فإن كان الثابت في النفس مطابقاً للحقيقة في نفسها فهو علم صحيح (٢) .

وعرَّفه ابن تيمية -رحمه الله- فقال: العلم ما قام عليه الدليل والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ (٣) .

وهو أول خطوات الإيمان، وأعظم مراحله، وقاعدته الأساسية، وقطب رحاه، فإيمان بلا علم كبيت بلا أساس، بل هو أوهن من بيت العنكبوت، فقد عقد البخاري -رحمه الله- باب العلم قبل القول والعمل، لقوله تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [محمد :١٩] ، فبدأ بالعلم (٤) .

قال ابن حجر: قال ابن المنير : أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به فهو متقدِّم عليهما لأنه مُصحح للنيَّة المصححة للعمل (٥) .

---

(١) الأصول من علم الأصول ص ١١ .
(٢) الفوائد ص ١١٥ .
(٣) مجموع الفتاوى ٦ / ٢٤٣ ، ١٣ / ٨٠ .
(٤) صحيح البخاري بحاشية السندي ١ / ٢٣ .
(٥) فتح الباري ١ / ١٩٦ .

قال السندي في حاشيته على صحيح البخاري : الظاهر أن مراده بيان تقدُّم العلم على القول والعمل شرفاً ورتبة لا زماناً، فدلالة ما ذكره في الباب على التقدم الزماني غير ظاهر، وإنما يدل على المعنى الأول والله أعلم (١) .

ولا يتم العلم إلا بإحدى وسيلتين وهما: الخبر والإدراك؛ والخبر يكون عن طريق حاستي السمع والبصر، فما سمعه الإنسان أو رآه علمه، وأما الإدراك فيكون عن طريق العقل بالاشتراك مع بقية الحواس، فكل مؤثر سواء كان داخلياً أو خارجياً يؤثر على تلك الحواس يعلمه الإنسان، ويعرفه، ويميزه، ومعنى ذلك أن مداخل العلم للإنسان ثلاث هي: السمع، والبصر، والقلب، وهذا ما أثبته الله في كتابه حيث قال : ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)** ﴾ [النحل : ٧٨] ويعني هذا أن العلم يتأتي للإنسان بطريقين هما: الخبر بالسمع والبصر، والإدراك بالعقل.

فإذا لم يصل العلم بأمر معين إلى واحدٍ من الناس فهو جاهل به، وإن وصل إليه إما أن يُعرِض عنه فيصير جهله به مركباً (٢) ، وبذلك يتوقف عن مواصلة السير في المراحل التالية، وإما أن يقتنع به ويرتضيه؛ وبذلك ينتقل إلى المرحلة الثانية.

---

(١) صحيح البخاري بحاشية السندي ١ / ٢٣ ، أقول : والصحيح أن تقدُّم العلم على القول والعمل زماناً وشرفاً ورتبة، لأن العلم يتم أولاً ثم يليه القول والعمل، وهذا أمر معلوم بالفطرة فانتبه.
ولذلك يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه : « العلم إمام العمل ، والعمل تابعه » . مجموع الفتاوى ٢٨ / ٨٤ .
يقول ابن تيمية: والعلم قبل العمل، والإدراك قبل الحركة، والتصديق قبل الإسلام، والمعرفة قبل المحبة وإن كانا يتلازمان، لكن علم القلب موجب لعمله مالم يوجد معارض راجح، وعمله يستلزم تصديقه إذ لا تكون حركة إرادية ولا محبة إلا عن شعور، لكن قد تكون الحركة والمحبة فيها فساد إذا لم يكن الشعور والإدراك صحيحاً. مجموع الفتاوى ٢ / ٢٣٩ .

(٢) وهذا حال كثير من أهل هذا الزمان، لأن مظنة العلم موجودة، فوسائل العلم قد كثُرت، بين مقروءة، ومسموعة، ومرئية، ورغم ذلك لا تجد من يستغلها في معرفة دينه، وما يجب عليه إلا من رحم ربى، وإنما يستغلها معظمهم في معرفة الساقط من كل العلوم، بل إن بعضهم يتعمَّد الإعراض، فإن ذهبت لتكلمه في أمر دينى، رفض وقال: لا أحب أن أعرف حتى لا أحاسب، - يظن!- فهل مثل هذا الإنسان المعرِض أن يُعذر بجهله ؟؟؟ سؤال يجب أن يوضع خلفه ألف علامة استفهام.

فمن أعرض عن العلم بعد قيام الحجة وبغير عذر شرعي فهذا لا يُعذر بجهله. فقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة «الواجبات المتحتمات المعرفة» أن الإعراض من نواقض الإسلام فقال: الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلّمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢) ﴾ السجدة ٢٢.

أقول: فالعذر بالجهل إنما هو للجاهل وليس لكل مُعرض، وسازيدك إيضاحاً، فالمعذورون بجهلهم أصناف منهم: الجاهل الذي لم يصل إليه العلم أصلاً، إما لوجوده في وسط من لا يعرفون الإسلام، أو في منأى غير مقصود عن المسلمين، وإما لكونه في زمن فترة من الرسل، أو وصل إليه العلم ولم يستطع إدراكه على صورته الحقيقية، أو سعى في الوصول إلى العلم ولم يصل إليه بعد، أو وصل إليه علمٌ مغلوطٌ عن طريق غير صحيح لظهور علماء السوء وتلبيسهم على الناس بإظهار الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، أو مُعرض بعذر في زمن فتنة لبطش أمير أو ولي أمر بمن يطلب العلم الشرعي، والله تعالى أعلم.

وإنما تنشأ هذه الأصناف نتيجة وجود الواحد منهم في مجتمع كافر أصلاً، أو مجتمع ظاهره الإسلام.

وفي ذلك يقول الشيخ الألباني في أحد أشرطته المسجلة: هناك ثلاث مجتمعات:

الأول: الإسلامي الذي فهم العقيدة الصحيحة، فمن عاش في هذا المجتمع لا يُعذر بجهله.

الثاني: المجتمع الكافر الذي قد يُسلم بعض أفراده، فمن أين له أن يعرف العقيدة الصحيحة؟ فهو معذور بجهله.

الثالث: مجتمع بينهما، فهو في الظاهر مسلم، وعلامات الإسلام ظاهرة، ولكن كبار أهله منحرفون عن العقيدة الصحيحة. فمن أين يتلقى أفراد هذا الشعب العقيدة الصحيحة؟ فيكونون والحال هذه معذورين. فتاوى جده، الشريط العاشر، بتاريخ: ١٥ / ٦ / ١٤١٠هـ. نقلاً من الثوابت والمتغيرات ص ١٧٣.

وقال أيضاً: هناك ثلاث مجتمعات: مجتمع إسلامي صحيح، مجتمع كافر، مجتمع اسماً إسلامي، فالذي وُجد في المجتمع الثاني والثالث معذور، حجة الله عليه لم تقم.

معذور بمعنى أننا لا نحكم عليه بانه من أهل الكفر المخلدين في النار، وليس معناه أن يدخل الجنة ترانزيت، لا يدخل الجنة إلا كما قال ﷺ في حجة الوداع: «**نفس مؤمنة**».

ولكن أريد من قولي: إنه معذور. أي لا يُحكم له بالنار التي وُعد بها الكفار، له معاملة يوم القيامة معروفة في بعض الأحاديث الثابتة، فإن أطاع دخل الجنة، وإن عصى دخل النار. فتاوى جدة، الشريط الحادي عشر، بتاريخ: ١٦ / ٦ / ١٤١٠هـ. نقلاً من السابق ص ١٨٧.

ويوضح ذلك ما قاله ابن القيم عند كلامه على طبقات المكلفين حيث فرّق بين الجاهل والمعرض وبيّن أحوال المعرضين فقال: نعم لا بد في هذا المقام من تفصيل به يزول الإشكال وهو الفرق بين مقلّد تمكن من العلم ومعرفة الحق فاعرض عنه ومقلّد لم يتمكن من ذلك بوجه والقسمان واقعان في الوجود فالمتمكن المعرض مفرّط تارك للواجب عليه لا عذر له عند الله، وأما العاجز عن السؤال والعلم الذي لا يتمكن من العلم بوجه فهم قسمان أيضاً، **أحدهما**: مريد للهدى مؤثّر له محبٌ له غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم من يُرشده فهذا حُكْمه حُكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة، **الثاني**: مُعرض لا إرادة له ولا يحدّث نفسه بغير ما هو عليه، **فالأول**: يقول يا رب لو أعلم لك ديناً خيراً مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه، ولكن لا اعرف سوى ما أنا عليه ولا أقدر على غيره فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي، **والثاني**: راضٍ بما هو عليه، لا

[٢] التصديق :

وهنا يقتنع ذلك الإنسانُ بأن هذا الأمر صحيح، فلا يشك في صدقه، فيصبح في قلبه أصل التصديق، والذي به ينتقل إلى المرحلة الثالثة، وعلامة تصديقه ألا يُكَذِّب به، ولا يكذب فيه، ويعترف على ذلك بلسانه، ويزداد هذا التصديق حتى يصير صاحبه صِدِّيقا.

= يؤثر غيره عليه؛ ولا تطلب نفسه سواه، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته، وكلاهما عاجز، وهذا لا يجب أن يلحق بالاول لما بينهما من الفرق :

فالأول : كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به؛ فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه عجزاً وجهلاً.

والثاني: كمن لم يطلبه؛ بل مات على شركه؛ وإن كان لو طلبه لعجز عنه، ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض فتأمل هذا الموضع والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله ولا يعذّب إلا من قامت عليه حجته بالرسل. طريق الهجرتين ص ٣٩١ .

يقول الشيخ ياسر برهامي بعد أن ساق الأدلة على العذر بالجهل: وفيما سبق كله يتبين أن مقصود العلماء في معنى العذر يتنوع :

(١) فمنه ما يكون عذراً كاملاً بمعنى لا إثم عليه، ولا تكفير، ولا يستحق صاحبه عقاباً في الدنيا، ولا في الآخرة، وهو من لم يقصّر في طلب العلم الواجب عليه ، بل بَذَلَ وسعه، واجتهد في معرفة الحق ـ بنفسه أو بسؤال أهل العلم ـ سواء كان هذا في مسائل الاصول، او الفروع، وإن كان هذا قليلاً في مسائل العقيدة وكثيراً في مسائل العمل والفروع، حسب انتشار العلم.

(٢) ومنه ما يكون عذراً في عدم التكفير، لا في الإثم واستحقاق العقاب في الدنيا والآخرة، كما قال العلماء في عذر مانعي الزكاة، والخوارج، مع كون الصحابة قد اتفقوا على قتالهم، وذلك بسبب التقصير في طلب العلم الواجب، وهؤلاء الذين دخلوا في الإسلام ثم خالفوا الحق المقطوع به وقامت القرينة عليه.

(٣) ومنه ما يكون عذراً في الآخرة مع بقاء حكم الكفر على صاحبه في الدنيا، ويكون في الآخرة من أهل الامتحان، وهم الكفار الذين لم يدخلوا في الإسلام، ولم تبلغهم الدعوة.

(٤) ومنه ما لايكون عذراً أصلاً، لا في الدنيا ولا في الآخرة، كمن أعرَض عن فهم الحق بعد بيانه، سواء كان مرتداً، او كافراً أصلياً، يسير على الباطل، تقليداً لآبائه، أو الاحبار والرهبان، ومثل هذا لا تقبل فيه دعوى الجهل لقيام الحجة فيه على كل أحد بانتشار علمه بين المسلمين، وانتفاء القرينة على عدم بلوغ الحجة له، كسب الله ورسوله، والاستهزاء بهما، او الجنة والنار، وإلقاء المصحف في القاذورات عمداً ونحو هذا. فضل الغني الحميد ص ١٩٨، ١٩٩ .

ومنه يتضح أن العذر بالجهل على ثلاث درجات :

الأولى: معذور بجهله للاسباب السابق بيانها، وهذا لا إثم عليه ولا يُكفَّر.

الثانية: معرض بتقصيره في طلب العلم وهذا يأثم ويعاقب على تقصيره، ولا يُكفَّر.

الثالث: معرض عن الحجة بعد قيامها فهذا غير معذور ويُكفَّر إن كان ما ارتكبه يستوجب الكفر.

[٣] اليقين:

قال الراغب: اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها يقال: علم يقين ولا يقال: معرفة يقين وهو: سكون الفهم مع ثبات الحكم [١] .

وهو أن يخالط العلم بهذا الأمر قلبه، ويمازجه فيصير لنفسه اعتقاداً، ولقلبه راحة واستناداً، وبذا يصير معه أصل اليقين، وبه ينتقل إلى المرحلة الرابعة، واليقين بدايته تصديق، والتصديق نهايته يقين فتفطن لذلك.

[٤] القبول:

وفي هذه المرحلة يقبل ذلك الإنسانُ العلم بهذا الأمر، ويالفه ويستريح إليه، ويرضى به، وتظهر عليه علامات الرضى؛ والارتياح، وبذلك يكون قد حصَّل أصل القبول، ويزداد القبول حتى لا يرُدَّ شيئاً منه البتة، وبتحصيله لأصل القبول يمكنه أن ينتقل إلى المرحلة الخامسة.

[٥] المحبة:

من شدة مخالطة العلم بهذا الأمر لقلبه فإنه يحبه، ويصير معه أصل المحبة، به يمكنه أن يترقَّى إلى المرحلة السادسة، وتزداد هذه المحبة حتى تخالط شغاف قلبه فيتشربها تشرب الطين للماء، حتى أن نفسه قد تضحي بكل ما تملك فداءً لذلك المحبوب، وتبذل في سبيله الغالي والنفيس، والمحبة بدايتها قبول، والقبول نهايته محبة فانتبه.

[٦] الانقياد:

وفيها يُسلِّم ذلك الإنسانُ نفسه لهذا الأمر يوجهه أينما شاء ويفعل به ما شاء، ويكون هذا الانقياد قلباً وقالباً، ظاهراً وباطناً، ويكون هذا الانقياد على ثلاث درجات، أعلاها ممارسة هذا الأمر بالجوارح، فإن لم يستطع دل عليه وأيده بلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وليس وراء ذلك من الإيمان شيءٌ، فإن كان

---

(١) المفردات ٢ / ٧١٨ .

انقياده تاماً ظاهراً وباطناً وصل إلى كمال الإيمان بهذا الأمر.

[٧] الإخلاص:

وهي الخاتمة المصاحبة، فهي تاج الأمر وملاكه، وهي مصاحبة لكل ما سبقها من خطوات، فهذه الخطوات كحديقة غناء، والإخلاص سياج يحيط بها من خارجها، كما أنه بمثابة ينبوع الماء الذي يغذيها من داخلها، فيفعل ذلك الإنسان هذا الأمر لأجل مرضاة من أمره به وحده .

وأهل العلم من أهل السنّة والجماعة، يُطلقون على المراحل السابق ذكرها شروط لا إله إلا الله [١] ، التي يجب أن تُشترط فيمن يقولها، وإلا فإنها لا تنفعه في الآخرة .

يقول الشيخ/ ياسر برهامي : (هذه الشروط ليست شروطاً في قبول الإسلام الظاهر في الدنيا، بل في نفع صاحبه في الآخرة)، ثم قال: (لا يلزم المسلم حفظ هذه الشروط، وعدها، بل المقصود وجودها في القلب، ووجود كمالها الواجب في قلبه ولسانه وجوارحه، وما أحسن ما قاله الشيخ أحمد حكمي في (معارج القبول) حيث قال) [٢] : (ومعنى استكمالها اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة لشيء منها، وليس المراد من ذلك عد ألفاظها وحفظها، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له اعدُدها لم

---

(١) معظم من ذكر هذه الشروط من العلماء ذكرها غير مرتبة، فظن البعض انه لا ترابط بينها، وأنها منفصلة عن بعضها البعض، وهذا الظن ليس في محله،ولقد اجتهدت في ترتيبها هذا الترتيب المنطقي الفطري حتى يتسنى فهم حقيقة الإيمان، فظهرت كانها حبات عقد، تُسلم الاولى إلى التي تليها، وترتكز اللاحقة على سابقتها، ولكن لا يظن احد ان هناك حدوداً فاصلة بين كل مرحلة والتي تليها، بل هي مترابطة ومتداخلة فيما بينها في نفس الوقت،ويظهر ذلك من تداخل وترابط التصديق باليقين، والقبول بالمحبة، والعلم والإخلاص مع الكل، ووجود أصل كل واحدة حتم للانتقال إلى التي تليها، فإن فُقد أصل اي مرحلة لم يمكن الترقي إلى التي تليها. واعلم انه لكي تتفهم حقيقة الإيمان عليك أن تعي هذا الترتيب، فإنه سيقرّب لك المعنى، حتى تعصم نفسك من الزلل أو الخلل، فتابع حتى تنجلي الغمة، ويُكشف استار، فالطريق زلق والناجون قليل.

(٢) فضل الغني الحميد ص ٥٩، ٦٠ باختصار.

يُحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله، والله المستعان) [١] .

واشتراطها في شهادة أن لا إله إلا الله هو عين الصواب، لأنها بوابة الدخول في الإسلام، والأصوب منه أن تكون هذه الشروط هي شروط الإيمان بكل أمر ورد به الشرع؛ فهي أصلاً شروط الإيمان وخطواته.

ولكي يتضح المقال لابد من ضرب المثال:

[١] وصل الخبر إلى واحد من الناس؛ بأن محمداً ﷺ رسول من الله إلى البشر، ليبلغهم دينه، ويبين لهم شرعه، فإن رفض هذا العلم فقد أعرض، وإن تلقَّاه فقد علم. (العلم).

[٢] فإن اقتنع بأنه رسول من عند الله وصدَّق بذلك، واطمأن بذلك قلبه، وأقر بلسانه على مكنون فؤاده وصل إلى التصديق، وإن صدق بقلبه ولم يُقر بلسانه فهو جاحد، وإن كذَّب بقلبه وأقر بلسانه فهو منافق، فإن كان التصديق بالقلب واللسان باطناً وظاهراً وصل إلى منتهى (التصديق).

[٣] وإن خالط هذا التصديق برسالة النَّبي ﷺ قلبه وأصبح واقعاً يخالط كيانه فقد وصل إلى (اليقين).

[٤] فإن تقبَّل هذا الخبر وقبله وارتضاه ورضي به، واستراحت له نفسه، ولم يرده وصل إلى (القبول).

[٥] فإن تغلغل هذا القبول في قلبه وملك عليه فؤاده أورثه ـ إن لم يوجد مانعٍ [٢] ـ حباً للرسول ﷺ ، حتى يصير أحبَّ إليه من نفسه وولده والناس أجمعين، فسيَنَعم بهذه المحبة.

---

(١) معارج القبول ١ / ٤١٨ .

(٢) هناك بعض الموانع مثل بعض أمراض القلوب كالحسد، والحقد، والكبر، والهوى، وغيرها، والتي قد تحول بين القلب وحب أمور الإيمان الشرعي بصفة خاصة، برغم تيقنه من صدق الأمر نفسه، وقبوله له، مثال ذلك أبو جهل وأبو طالب مع النبي ﷺ وفرعون مع موسى عليه السلام .

واعلم أن المحبة هي أصل أعمال القلوب، وأولى علامات انقياده [١] ، فمن أحبَّ أورثه حبه لمحبوبه رجاءً وخشية وإنابة وتوكلاً وذلاً وانكساراً واستكانة .... إلخ ذلك من أعمال القلوب وعبادته.

وفي ذلك يقول ابن تيمية: أصل العبادة معرفته - سبحانه وتعالى - وكمال محبته وكمال تعظيمه [٢] .

وقال: أصل العبادة المحبة والشرك فيها أصل الشرك [٣] .

وقال: فدعاء إله آخر مع الله هو اتخاذ ند من دون الله يحبه كحب الله إذ أصل العبادة المحبة [٤] .

وقال ابن القيم: أصل العبادة وتمامها وكمالها هو المحبة وإفراد الرب سبحانه بها فلا يشرك العبد به فيها غيره [٥] .

ويقول أيضاً: فأصل العبادة محبة الله بل إفراده بالمحبة وأن يكون الحب كله لله فلا يحب معه سواه وإنما يحب لأجله وفيه كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه فمحبتنا لهم من تمام محبته وليست محبة معه [٦] .

ويقول ابن تيمية: (حقيقة المحبة أن يحب المحبوب وما أحبه ويكره ما يكرهه ومن صحت محبته امتنعت مخالفته) [٧] .

فمن أحبَّ تعبَّد ومن لم يحب عصى وتمرَّد،ويُثمر انقيادُ قلبه وتعبُّده انقياداً وتعبُّداً في الجوارح يزيد وينقص طرداً على قدر ما في القلب من المحبة [٨].

قال ابن القيم: الإيمان علم وعمل، والعمل ثمرة العلم؛ وهو نوعان : عمل

---

(١) انقياد القلب يطلق عليه أهل العلم : الإرادة . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : الإرادة هي عمل القلب الذي هو ملك الجسد. مجموع الفتاوى ١٠ / ٤٣٣ .

(٢) بيان تلبيس الجهمية ١ / ٢٦٨ .

(٣) قاعدة في المحبة ص ٨٧ .

(٤) قاعدة في المحبة ص ٧٥ .

(٥) إغاثة اللهفان ٢ / ٥٠٦ .

(٦) مدارج السالكين ١ / ١٢٤ .

(٧) مجموع الفتاوى ١ / ٨٥ .

(٨) يقول ابن تيمية: "الحب يوجب الذل والطاعة" . مجموع الفتاوى ٢٠ / ٨ .

القلب حباً وبغضاً، ويترتب عليهما عمل الجوارح فعلاً وتركاً [١] .

وقال ابن تيمية: والعبادة أصلها عبادة القلب المستتبع للجوارح فإن القلب هو الملك والأعضاء جنوده وهو المضغة التي إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد وإنما ذلك بعلمه وحاله [٢] .

وقال ابن القيم: (فكل حي له إرادة ومحبة وعمل يُحْسِنه، وكل متحرك فأصل حركته المحبة والإرادة) [٣] .

وقال أيضاً: (وكما أن المحبة والإرادة أصل كل فعل كما تقدم، فهي أصل كل دين، سواء أكان حقاً أم باطلاً، فإن الدين هو من الأعمال الباطنة والظاهرة، والمحبة والإرادة أصل ذلك كله) [٤] .

وقال: (فالمحبة والإرادة أصل كل فعل ومبداه، فلا يكون الفعل إلا عن محبة وإرادة) [٥] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (والعبادة تتضمن كمال الحب، وكمال الذل، والحب مبدأ جميع الحركات الإرادية، ولابد لكل حي من حُب وبُغض، فإذا كانت محبته لمن يحبه لله، وبغضه لمن يبغضه لله، دل ذلك على صحة الإيمان في قلبه، لكن قد يقوى ذلك وقد يضعف) [٦] .

وقال أيضاً: (اعلم أن محركات القلوب إلى الله - عز وجل - ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء، وأقواها المحبة، وهي مقصودة تُراد لذاتها؛ لأنها تُراد في الدنيا والآخرة) [٧] . [٨] .

---

(١) إغاثة اللهفان ٢ / ٤٩٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢ / ١١ .

(٣) الجواب الكافي ٢١٢ .

(٤) السابق ص ٢١٥ .

(٥) روضة المحبين ٦٨ .

(٦) مجموع الفتاوى ١٠ / ٤٤٥ .

(٧) السابق ١ / ٨٦ .

(٨) **قال بعض السلف:** من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. معارج القبول ١ / ٤٣٧، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣١ .

وقال أيضاً : (الله سبحانه يستحق لذاته أن يُحب ويُعبد ، وأن يُحب لأجله رسوله ﷺ ، والقلوب فيها معنى يقتضي حبه وطاعته، كما فيها معنى يقتضي العلم والتصديق به، فمن صدَّق به وبرسوله ولم يكن محباً له ولرسوله ﷺ لم يكن مؤمناً حتى يكون فيه مع ذلك الحب له ولرسوله، وإذا قام بالقلب التصديق به، والمحبة له، لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة، فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال؛ هو موجب ما في القلب، ولازمه، ودليله، ومعلوله، كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضاً تأثير فيما في القلب، فكل منهما يؤثر في الآخر، لكن القلب هو الأصل، والبدن فرع له، والفرع يستمد من أصله، والأصل يثبت ويقوى بفرعه؛ كما في الشجرة التي يُضرب بها المثل لكلمة الإيمان، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾ [إبراهيم :٢٤-٢٥] .

وهي كلمة التوحيد، والشجرة كلما قوى أصلها وعرَّق ورُوى قويت فروعها، وفروعها ـ أيضاً ـ إذا اغتذت بالمطر والريح أثَّر ذلك في أصلها) [١] .

قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ:

قال بعض المحققين: (المطلوب في المسائل العملية أمران : العلم والعمل، والمطلوب في العلميات العلم والعمل أيضاً، وهو حب القلب وبغضه، حبه للحق الذي دلت عليه وتضمنته، وبغضه للباطل الذي يخالفها، فليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح تَبعٌ. فكل مسألة علمية فإنه يتبعها إيمان القلب وتصديقه وحبه، وذلك عمل بل هو أصل العمل. وهذا مما غفل عنه كثير من المتكلمين في مسائل الإيمان ؛ حيث ظنوا أنه (أي الإيمان) مجرد التصديق دون الأعمال ! وهذا من أقبح

(١) مجموع الفتاوى ٧ / ٣٥٨ .

الغلط وأعظمه) (١) .

ولذلك جعل الله الأعمال الظاهرة برهاناً ودليلاً على ما استقر في القلب من المحبة، وجعل ما استقر في القلب من المحبة هو الباعث على العمل حيث قال جل شانه: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٣١) ﴾ [آل عمران :٣١] ، (المحبة).

يقول ابن القيم: وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها، فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه، فعند اتباع الأمر واجتناب النهى تتبين حقيقة العبودية والمحبة، ولهذا جعل تعالى اتباع رسوله عَلَماً عليها وشاهداً لمن ادعاها، ... فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله، وشرطاً لمحبة الله لهم، ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه، وتحققه بتحققه، فعُلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة، فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم، فيستحيل إذاً ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله ﷺ.

ودل على أن متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة أمره، ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، فلا يكون عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله (٢) .

ولذلك كان من أعظم تعريفات العبادة قول ابن تيمية - رحمه الله -: (العبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل لله) (٣) .

وقال أيضاً: (وهي اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته، فالحب الخلي عن ذل، والذل الخلي عن حب لا يكون عبادة، وإنما العبادة

---

(١) وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة ص ٢٦ ، وعزاه للصواعق المرسلة، لابن القيم ٢ / ٤٢٠، ٤٢١ .
(٢) مدارج السالكين ١ / ١٢٤- ١٢٥ .
(٣) مجموع الفتاوى ٨ / ٩٣ ، وهو تعريف يختص بالعبادة .

ما يجمع كمال الأمرين) (١) .

وقال أيضاً: (العبادة تتضمن كمال الحب ونهايته، وكمال الذل ونهايته، فالمحبوب الذي لا يُعظَّم ولا يُذَلّ له لا يكون معبوداً، والمُعظَّم الذي لا يُحَبُّ لا يكون معبوداً) (٢) .

وعرَّفها من حيث أفرادها فقال: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة (٣) .

[٦] فإن استولت هذه المحبة على قلبه، أورثته طاعة للرسول ﷺ ظاهرة وباطنه يستعذب معها العذاب، ويلاقي في سبيلها الصعاب، فلا يُقدِّم على طاعته طاعة غيره، حتى هوى نفسه، ويكون ذلك فعلاً، فإن لم يكن فقولاً، وإن لم يكن فميلاً أو إنكاراً بالقلب، وإلا فلا إيمان وهذا الشرط هو(الانقياد) .

[٧] ولابد أن يكون ذلك كله محوطاً بالإخلاص لله ، فتكون مرضاة الله هي هدفه الأوحد، وغايته الأسمى، وقبلة روحه، ومبتغاه، فإن وصل إلى ذلك، وإلا انتكس وهذا هو (الإخلاص) .

وقِسْ على ذلك كل الأعمال التي يقوم الإنسان بها، فكل أمر صغُر أم كبر خفي أم ظهر مر بهذه المراحل لابد أن يكون صاحبه مؤمناً به، فإن كان من الأمور الشرعية فهو الإيمان الشرعي الذي طالبنا الله به، وإن كان من غير ذلك فهو مؤمن بما لم يتوجب عليه الإيمان به، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [العنكبوت :٥٢] (٤) .

---

(١) السابق ١٠ / ١٦ ، وهو تعريف يختص بالعابد .

(٢) السابق ١٠ /٣٩ ،وهو تعريف يختص بالمعبود، ومن جمع هذه التعريفات ووعاها عرف معنى العبادة، ولعلم أن قطب رحاها المحبة ، وبذا يتضح أن المحبة هي أصل أعمال القلوب، فإن وجدت وجدت أصول كل أعمال القلوب، ولذلك اشترطها العلماء دون غيرها؛ رغم علمهم بوجوب وجود أصول هذه الأعمال في القلب .

(٣) السابق ١٠ / ٩٧ .

(٤) المؤمنون بما لم يجب عليهم الإيمان به كُثُر، فمؤمنون بالديموقراطية وآخرون بالاشتراكية، وغيرهم بالفن رقى وتحضر ، وبالغناء حياة للروح ، وبالخنا والفحش والابتذال حرية ..... وغير ذلك كثير .

واعلم أن لكل مرحلة من هذه المراحل ناقضاً ينقضها، ونواقضها من صور الكفر فمن عُرِض عليه العلم بالتوحيد والرسالة وأعرض عنه كَفَر كُفر إعراض، ومن لم يُعْرِض ولكنه لم يُصدِّق كفر كُفر تكذيب، فإن لم يُصدِّق وأقر بلسانه كفر كُفر نفاق، فإن صدَّق ولم يُقِرَّ بلسانه كَفَر كُفر جحود وعناد، وإن لم يتيقن كَفَر كُفر شك، وإن أيقن ولم يقبل كَفَر كُفر رد، وإن قَبِل ولم يحب كَفَر كُفر بغض وكره، وإن أحب ولم ينْقَدْ كَفَر كُفر استكبار، فإن انقاد ولم يُخْلِص صار من المشركين.

وبذا يتضح أن الكفر على صور عدة، والكفر ملة واحدة، وصوره هي: كفر إعراض، كفر تكذيب، كفر نفاق، كفر جحود وعناد، كفر شك، كفر رد، كفر بغض وكره، كفر استكبار [١].

وبذلك يتضح القول السابق لابن القيم - رحمه الله - أن الإيمان حقيقة مركبة [٢]، ويوضِّحه ما قاله في موضع آخر حين قال: حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان قول القلب وهو اعتقاده، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال

---

(١) **قال ابن القيم**: وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق.

ولا خلاف بين ما ذكره وبين ما ذكرته؛ لأنه - رحمه الله - أجمل أما أنا فقد فصَّلت، وبيان ذلك أن كفر التكذيب والنفاق والجحود تقابل التصديق، فذكر اثنين وترك الثالث لشهرته، ولم يذكر كفر الرد والبغض المتعلقين بالمحبة رغم تأكيده على أن المحبة هي المحرك الأساسي لكل عمل، راجع ذلك فيما ذكرته في المحبة.

(٢) أي كل شعبة من شعب الإيمان مركبة من علم، وتصديق، ويقين، وقبول، ومحبة، وانقياد، وإخلاص، كما ذكرتُ قبل ذلك، والكلام اللاحق يقصد به أن الإيمان المطلق حقيقة مركبة من قول وعمل، فأحد قوليه لإيضاح التركيب في الإيمان المطلق، والآخر ليظهر التركيب في كل شعبة من شعبه، ولا يوجد أدنى تعارض بين كون حقيقة الإيمان المطلق مركبة، وكون كل شعبة من شعبه حقيقة مركبة، لأن ما تركبت منه حقيقة الإيمان يندرج تحتها ما تركبت منه كل شعبة من شعبه، وهذا ما سيتضح من خلال السطور التالية.

عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السُنَّة. فأهل السُنَّة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده [١].

ونخلُص من كلامه ـ رحمه الله ـ: إلى أن الإيمان المطلق حقيقة مركبة من قول وعمل، والقول ينقسم إلى: قول القلب وهو اعتقاده، وقول اللسان: وهو النطق بما استقر في القلب، والعمل أيضاً على قسمين: عمل القلب: وهو محبته وانقياده، وعمل الجوارح: وهو انقيادها وتسليمها.

ويمكن أن تنتظم تلك الشروط السبعة تحت هذه الأصول الأربعة فقول القلب يشتمل على: العلم والتصديق واليقين، وقول اللسان هو: الاعتراف على ما استقر في القلب، أما عمل القلب: فهو قبوله ومحبته بإخلاص وما يثمر عنها من عبادات قلبية (انقياد القلب)، وعمل الجوارح هو: الانقياد الظاهر الذي هو ثمرة ما استقر في القلب من المحبة وما تبعها من أعمال القلب.

ومما سبق يتضح أمر في غاية الأهمية والخطورة في نفس الوقت، وهو أن الإيمان على صورتين: إيمان بأمر معين، وإيمان مطلق.

والإيمان بأمر معين: هو الإيمان بأمر واحد مر صاحبه بكل تلك المراحل السابق بيانها بداية من العلم إلى الانقياد ملازماً في ذلك الإخلاص.

أما الإيمان المطلق: فهو استكمال كل تلك المراحل في كل الأمور التي ورد بها الشرع وعلمها المرء علماً صحيحاً.

فمن ترك مُختاراً وبغير عذر شرعي العمل بقسميه (أي عمل القلب والجوارح) بأمر معين فقد زال إيمانه بهذا الأمر، وأصبح كافراً به، وصار معه شعبة من شعب الكفر [٢].

---

(١) الصلاة وحكم تاركها ص ٣٥ .

(٢) يقول ابن القيم بعد ان بين ان الإيمان اصل ذو شعب وكل شعبة من شعبه تسمى إيمان: وكذلك الكفر ذو اصل وشعب، فكما ان شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة =

ويظهر من ذلك أن الإنسان قد يجتمع فيه كفر وإيمان (١) ، كفر بأمر وإيمان بأمر آخر (٢) .

من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة، والزكاة، والحج، والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان . كتاب الصلاة وحكم تاركها ص ٣٥ .

وقال: وههنا أصل آخر وهو أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمناً، وإن كان ما قام به إيماناً، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافراً؛ وإن كان ما قام به كفراً، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يسمى عالماً، ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطب أن يسمى فقيهاً، ولا طبيباً، ولا يمنع ذلك أن تسمى شعبة الايمان إيماناً، وشعبة النفاق نفاقاً، وشعبة الكفر كفراً، وقد يطلق عليه الفعل كقوله ﷺ : «**فمن تركها فقد كفر** » رواه الترمذي برقم ٢٦٢١ ، والنسائي برقم ٤٦٣ ، وابن ماجة برقم ١٠٧٩ ، وأحمد برقم ٢٢٩٨٧ ، وابن حبان برقم ١٤٥٤ ، والحاكم في المستدرك برقم ١١ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٧٥٩٢ ، وفي مشكاة المصابيح برقم ٥٧٤ ، وفي صحيح الترغيب والترهيب برقم ٥٦٤ » و **من حلف بغير الله فقد كفر** » رواه الترمذي برقم ١٥٣٥ ، وأحمد برقم ٦٠٧٢ ، والحاكم في المستدرك برقم ٤٥]. فمن صدر منه خُلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم كافر على الإطلاق، وكذا يقال لمن ارتكب محرماً إنه فعل فسوقاً، وإنه فسق بذلك المحرم، ولا يلزمه اسم فاسق إلا بغلبة ذلك عليه، وهكذا الزاني والسارق والشارب والمنتهب لا يسمى مؤمناً وإن كان معه إيمان كما أنه لا يسمى كافراً وإن كان ما أتى به من خصال الكفر وشعبه، إذ المعاصي كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان. ، كتاب الصلاة وحكم تاركها ص ٤٢ .

أقول: اعلم أن من شعب الكفر ما يُطلق عليها كُفْر كالسحر، وسب الدين وجحود معلوم من الدين بالضرورة، ومنها ما يُطلق عليها فسوق كترك الفرائض، ومنها ما يُطلق عليها كبيره كجملة الكبائر مثل الزنا، وشرب الخمر، ومنها ما يُطلق عليها معصية كجملة الصغائر مثل عدم إماطة الأذى عن الطريق.

فلا يلزم من وجود شعبة من شعب الكفر في شخص أنه كافر، بل قد يكون فاسقاً، أو مرتكباً لكبيرة، أو عاصياً.

ولا يلزم من وجود شعبة من شعب الكفر المكفرة أن يُطلق عليه الكفر؛ لأن هناك فرقاً بين الكفر والكافر، فقد يطلق على الفعل كُفر؛ ولا يُطلق على مرتكبه كافر إلا بعد قيام الحجة عليه.

(١) **يقول ابن القيم**: وههنا أصل آخر وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، هذا من أعظم أصول أهل السُّنَّة ، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج، والمعتزلة، والقدرية ، كتاب الصلاة وحكم تاركها ص ٤٠ .

(٢) **يقول ابن تيمية**: الإيمان والكفران متضادان: فكل ضدين فأحدهما يمنع الآخر تارة ويرفعه أخرى كالسواد والبياض [فإذا فُقد أحدهما خلفه الآخر] وحصل موضعه ويرفعه إذا كان حاصلاً مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٧٧ . وما بين المعكوفين أضفته لأن موضعه بياض في الأصل، وبدونه يختل المعنى.

ويقول ابن القيم - رحمه الله - : فالكفر والإيمان متقابلان، إذا زال أحدهما خلفه الآخر كتاب الصلاة وحكم تاركها ص ٣٤ .

فإن ترك العمل بقسميه (عمل القلب والجوارح) بواحد من المباني الأربعة (١) أو ما عُلِم من الدين بالضرورة (٢) كَفَرَ كُفراً أكبر يخرجه من الملة، وإن كان من غيرها فكفره أصغر لا يخرجه من الملة.

فإن ترك العمل الظاهر فقط (عمل الجوارح) مع إقراره بقلبه بأمر معين دون عذر شرعي (٣) ، فهو ضعيف الإيمان بهذا الأمر وهو على شفا هلكة، فإن كان

أقول: اعلم أن الإيمان والكفر متقابلان، ولابد للمرء أن يتصف بأحدهما، أو بكليهما معاً، فالمرء إما أن يكون مؤمناً خالصاً، أو كافراً خالصاً، أو مؤمناً به بعض شُعب الكفر، أو كافراً معه بعض شُعب الإيمان، ولن يؤمن الإيمان الخالص إلا إذا كفر الكفر الخالص، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، وقد يوجد فيه إيمان وكفر في نفس الوقت لقوله تعالى: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ** ﴾ [البقرة: ٨٥] ، فالإيمان والكفر متى حصل أحدهما حصولاً كاملاً نفي الآخر، أما إذا وُجِد أحدهما ناقصاً اشترك معه الآخر في الوجود بمقدار هذا النقص .

(١) المباني الأربعة : الصلاة والزكاة والصيام والحج.

(٢) **يقول الشيخ أحمد فريد**: المعلوم من الدين بالضرورة هو الذي لا يجهله عالم ولا عامي، وهو أمر نسبي إضافي، يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فالمعلوم من الدين بالضرورة في الأزمنة التي تشرق فيها شمس الشريعة، ويكثر فيها العلماء العاملون الذين يبلّغون دين الله ويقيمون الحُجة على عباد الله غير المعلوم من الدين بالضرورة إذا غابت شمس الشريعة، وكان العلماء علماء سوء يلبّسون على الناس دينهم، وأهل الحق قليلون وصوتهم لا يصل إلى الناس كلهم، فمن جحد شيئاً من المعلوم من الدين بالضرورة يكفر بذلك كفراً يخرج به من ملة الإسلام كما قرره العلماء رحمهم الله. العذر بالجهل والرد على بدعة التكفير ص ٣٦ .

قال الخطابي: وكذلك الأمر « أي الحكم بالتكفير » في كل من أنكر شيئاً مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشراً كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والإغتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام إلا أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده فإنه إذا أنكر شيئاً منها جهلاً به لم يُكفَّر وكان سبيله سبيل أولئك القوم « أي مانعي الزكاة » في بقاء اسم الدين عليه، فأما ما كان الإجماع فيه معلوماً من طريق علم الخاصة كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها وأن القاتل عمداً لا يرث وأن للجدة السدس وما أشبه ذلك من الأحكام فإن من أنكرها لا يُكفَّر بل يُعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامة. صحيح مسلم بشرح النووي ١ / ١٨٣ .

قال الشيخ ياسر برهامي تعقيباً على كلام الخطابي: الأصل فيما انتشر علمه بين المسلمين تكفير منكره، إلا أن تدل القرينة على عدم علمه، وما لم ينتشر علمه لا يُكفَّر منكره قبل قيام الحجة عليه. فضل الغني الحميد ص ١٩٤ .

(٣) تارك العمل بغير عذر شرعي إما أن يكون تركه جحوداً، أو تكاسلاً، والجحود كفر، والتكاسل عارض وليس بأصل، والأصل العمل والنشاط، فإن طال التكاسل أورث جحوداً، وإن كان التكاسل على غير هدى أسلم -

هذا الأمر من المباني الأربعة كفر كفراً أصغر لا يخرجه من الملة (١) ، فإن كان من

إلى ضلال، وذلك لما ورد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن لكل عمل شِرَّة، ولكل شِرَّة فترة: فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك » رواه أحمد برقم ٦٩٥٨ ، وابن حبان برقم ١١ ، والسيوطي في الجامع الصغير برقم ٢٤٢٦ وصححه ، والهيثمي في مجمع الزوائد برقم ٣٥٦٣ وصححه، والمتقي الهندي في كنز العمال برقم ٤٤٤٣٩ ،وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ١ / ٢١٥٢ و في صحيح الترغيب والترهيب برقم ١ / ٥٦ . والشِرَّة : النشاط، والفترة: الكسل وهي نوعان: كسل في العمل وهي أن يؤديه بغير همة، وكسل عن العمل وهي ألا يؤدي العمل بالمرة، فما من عامل إلا وله أوقات ينشط فيها في عمله، ثم يعقب ذلك تكاسلٌ في عمله، قد يصل إلى التكاسل عن العمل فإن طالت فترة كسله عن العمل قد لا يعود إليه مرة أخرى، وقد يجحده، وإن كانت في العمل وعلى غير هدى وإن قصُرت أدت إلى الضلال ، نعوذ بالله من كليهما .

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما هذه المباني ففي تكفير تاركها نزاع مشهور وعن أحمد في ذلك نزاع وإحدى الروايات عنه أنه يُكفّر من ترك واحدة منها وهو اختيار أبي بكر وطائفة من أصحاب مالك كابن حبيب وعنه رواية ثانية لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة فقط ورواية ثالثة لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة إذا قاتل الإمام عليها ورابعة لا يكفر إلا بترك الصلاة وخامسة لا يكفر بترك شيء منهن وهذه أقوال معروفة للسلف. مجموع الفتاوى ٧ / ٢٠٣ .

وقال أيضاً : إذا ترك شيئاً من هذه الأركان الأربعة ففي التكفير أقوال للعلماء هى روايات عن أحمد :

أحدها: أنه يكفُر بترك واحد من الأربعة حتى الحج وإن كان في جواز تأخيره نزاع بين العلماء فمتى عزم على تركه بالكلية كفر وهذا قول طائفة من السلف وهى إحدى الروايات عن أحمد، اختارها أبو بكر.

والثاني: أنه لا يكفر بترك شيء من ذلك مع الإقرار بالوجوب وهذا هو المشهور عند كثير من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وهو إحدى الروايات عن أحمد اختارها ابن بطة وغيره.

والثالث: لا يكفر إلا بترك الصلاة وهى الرواية الثالثة عن أحمد وقول كثير من السلف وطائفة من أصحاب مالك والشافعي وطائفة من أصحاب أحمد .

والرابع: يكفر بتركها وترك الزكاة فقط .

والخامس: بتركها وترك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها دون ترك الصيام والحج وهذه المسالة لها طرفان :

أحدهما: في إثبات الكفر الظاهر.

والثاني: في إثبات الكفر الباطن. ا.هـ. مجموع الفتاوى ٧ / ٤٠٢ .

ويوضحه تلميذه ابن القيم بقوله: وها هنا أصل آخر وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود وعناد، الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه، وأما كفر العمل فينقسم إلى ما يضاد الإيمان، وإلى ما لا يضاده، فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان، وأما الحكم بغير ما أنزل الله، وترك الصلاة؛ فهو من الكفر العملي قطعاً، ولا يمكن أن يُنفي عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر، وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ؛ ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع أن يسمِي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمِي رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافراً ولا يُطلق عليهما اسم كافر، وقد نفي رسول الله ﷺ الإيمان عن الزانى، والسارق، وشارب الخمر، وعمن لا يأمن جاره بوائقه، وإذا نفي عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل، وانتفي عنه كفر الجحود والاعتقاد. ا. هـ. كتاب الصلاة وحكم تاركها ص ٣٦ .

غيرها نقص إيمانه على قدر هذا الأمر من الدين.

ويزيد الأمر إيضاحاً حول قضية عمل الجوارح وعلاقتها بالإيمان ما قاله ابن رجب في جامع العلوم والحكم حين قال: والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان، وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم، وأنكر السلف على من أخرج الأعمال من الإيمان إنكاراً شديداً، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً محدثاً سعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وقتادة، وأيوب السختياني، والنخعي، والزهري، وإبراهيم ويحيى بن أبي كثير وغيرهم، وقال الثوري: هو رأى محدث أدركنا الناس على غيره، وقال الأوزاعي: وكان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار أما بعد فإن الإيمان فرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ذكره البخاري في صحيحه، قيل: والأمر على ما ذكره، وقد دل على دخول الأعمال في الإيمان قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** (٢)﴾ [الأنفال: ٢].

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال لوفد عبد القيس: «**آمركم بأربع الإيمان بالله وحده وهل تدرون ما الإيمان بالله؟شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخُمس**»(١)، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبه فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن**

(١) رواه البخاري بأرقام ٥٠٠، ١٣٣٤، ٢٢١٩، ٢٩٢٨، ٤١١٠، ٤١١١، ٧١١٧، ومسلم برقم ٢٦ / ١٨، والترمذي برقم ٢٦١١، وأبو داود برقم ٣٦٩٢، والنسائي برقم ٥٠٣١، وأحمد برقم ١١١٩١، وابن خزيمة برقم ٣٠٧، وابن حبان برقم ١٥٧، والطبراني في الكبير برقم ١٢٩٤٩، والبيهقي في الكبرى برقم ١٢٥٠٠.

الطريق والحياء شعبة من الإيمان» [١] ولفظه لمسلم، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»** [٢] فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان لما انتفي اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها لأن الاسم لا ينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان وتفريق النَّبي ﷺ بينهما وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان فإنه يتضح بتقرير أصل وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه فإذا قُرِن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات والاسم المقرون به دال على باقيها [٣].

وقال أيضاً: وحديث ابن عمر [٤] يُستدل به على أن الاسم إذا شمل أشياء متعددة لم يزُل الاسم بزوال بعضها فيبطل بذلك قول من قال إن الإيمان لو دخلت فيه الأعمال للزم أن يزول بزوال عمل مما دخل في مُسمَّاه فإن النَّبي ﷺ جعل هذه الخمس دعائم الإسلام ومبانيه وفسَّر بها الإسلام في حديث جبرائيل وفي حديث طلحة بن عبد الله الذي فيه أن أعرابياً سأل النَّبي ﷺ عن الإسلام ففسَّره له بهذه الخمس ومع هذا فالمخالفون في الإيمان [٥] يقولون لو زال من الإسلام

---

(١) رواه مسلم برقم ٥٨ / ٣٥ ، والبخاري برقم ٩ ، وابو داود برقم ٤٦٧٦ ، والترمذي برقم ٢٦١٤ ، والنسائي برقم ٥٠٠٢ ، وأحمد برقم ٤٩١٣ ، وابن حبان برقم ١٦٦ ، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٢ .

(٢) رواه البخاري برقم ٢٣٤٣، ٥٢٥٩، ٦٣٩٠، ٧٤٢٥ ، ومسلم برقم ١٠٠ / ٥٧ ، وابن ماجة برقم ٢٩٣٦ . والنسائي برقم ٤٨٧٠ ، والترمذي برقم ٢٦٢٥ ، وابو داود برقم ٤٦٨٩ ، وأحمد برقم ٧٣١٦ ، والدارمي برقم ٢١٠٦ ، وابن حبان برقم ١٨٦ ، والطبراني في الكبير برقم ١٣٣٠٤

(٣) جامع العلوم والحكم ص ٣٢، ٣٣ ، والمنفي في هذه الأحاديث هو كمال الإيمان المطلق لا مطلق الإيمان الإيمان الكامل كما يظن البعض. والله أعلم.

(٤) يقصد حديث بني الإسلام على خمس المتفق عليه.

(٥) يقصد الذين يُخرِجون العمل من الإيمان بحجة انه لو دخل فيه لزال بزوال بعض الأعمال.

خصلة واحدة أو أربع خصال سوى الشهادتين لم يخرج بذلك من الإسلام (١)
وقد روى بعضهم أن جبرائيل عليه السلام سأل النَّبي ﷺ عن شرائع الإسلام لا عن الإسلام وهذه اللفظة لم تصح عند أئمة الحديث ونقاده منهم أبو زرعة والرازي ومسلم بن الحجاج وأبو جعفر العقيلي وغيرهم، وقد ضرب العلماء مثل الإيمان بمثل شجرة لها أصل وفروع وشعب فاسم الشجرة يشتمل على ذلك كله ولو زال شيء من شعبها وفروعها لم يزُل عنها اسم الشجرة وإنما يقال هي شجرة ناقصة وغيرها أتم منها وقد ضرب الله مثل الإيمان بذلك في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم :٢٤-٢٥] .

والمراد بالكلمة كلمة التوحيد وبأصلها التوحيد الثابت في القلوب وأُكُلها هو الأعمال الصالحة الناشئة منها وضرب النَّبي ﷺ مثل المؤمن والمسلم بالنخلة ولو زال شيء من فروع النخلة ومن ثمرها لم يزُل بذلك عنها اسم النخلة بالكلية وإن كانت ناقصة الفروع أو الثمر (٢) .

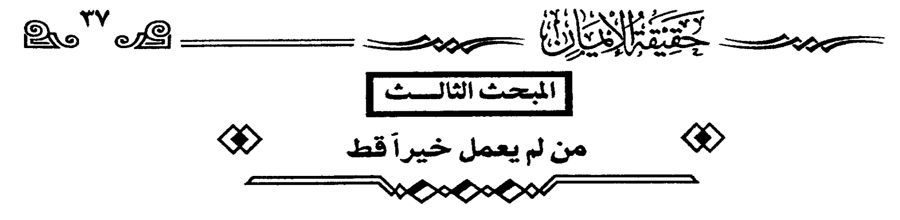


---

(١) يبين هنا تناقض هذه الطائفة، فرغم أنهم يقولون بزوال الإيمان إذا زال بعض العمل، إلا أنهم لا يقولون بزوال الإسلام حتى بزوال المباني الأربعة سوى الشهادتين ! .

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٥٣، ٥٤ .

أقول: وإن زالت عن الشجرة كل فروعها من تلقاء نفسها هل يبقي لها اسم الشجرة ؟ هذا ما سنحاول إيضاحه في المبحث التالى.



المبحث الثالث

من لم يعمل خيراً قط

فإن ترك جملة الأعمال الظاهرة بالكلية فهذا موضع المعركة بين المتناحرين في هذه الأيام، فطائفة قالت: هو في النار خالداً فيها لأنه لم يعمل خيراً قط، والأخرى قالت: بل يخرج من النار بشفاعة رب العالمين بنص حديث رسول الله ﷺ الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه والذي فيه: (... **فيقول الله شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فَيُخْرِج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حمماً، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة** ...) [١]، فطائفة نفت لفظة (**لم يعملوا خيراً قط**) وحاولت إسقاطها من الحديث بتضعيفه رغم ثبوته في صحيح مسلم، أو حملها على ما لا يحتمله المعنى، والأخرى تمسكت بظاهرها؛ وظنت أنه لم يعمل خيراً قط على الحقيقة.

ولفصل النزاع بين الطائفتين إليك ما قاله الإمام ابن خزيمة، وتوجيهه له:

قال أبو بكر بن خزيمة: هذه اللفظة « لم يعملوا خيراً قط » من الجنس الذي يقول العرب: ينفي الاسم عن الشيء لنقصه عن الكمال والتمام، فمعنى هذه اللفظة على هذا الأصل، لم يعملوا خيراً قط، على التمام والكمال، لا على ما أوجب عليه وأُمر به، وقد بينت هذا المعنى في مواضع من كتبي. ا.هـ[٢] .

وقال: أقول: وهذا التوجيه يشهد له حديث المسيء صلاته مع وقوعها والمراد نفي صحة آدائها وبه استدل أبو عبيد رحمه الله في مثل هذا.

وكذلك حديث قاتل المائة نفس الذي جاء فيه: (أنه لم يعمل خيراً قط)

---

(١) قطعة من حديث طويل رواه مسلم برقم ٣٠٢ / ١٨٣ ، والطيالسي في مسنده برقم ٢١٧٩ .
(٢) كتاب التوحيد ص ٢٥٠- ٢٥١ .

لأنه توجه تلقاء الأرض الصالحة فمات قبل أن يصلها فرأت ملائكة العذاب أنه لم يعمل خيراً قط بعد، إذ لم يزد على أن شرع في سبيل التوبة ولهذا حكم الله بينهم وبين ملائكة الرحمة بقياس الأرض وإلحاقه بأقرب الدارين ثم قبض هذه وباعد تلك رحمة منه وإلا كان يهلك.

وفي حديث الرجل الذي أوصى أهله أن يحرقوه بعد وفاته خوفاً من الله: (**قال رجل لم يعمل خيراً قط : إذا مات فحرقوه ...**) ولمسلم: (**قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات فاحرقوه ...**) وقد فسرتها الرواية التي بعدها (**أسرف رجل على نفسه ـ أو ـ أسرف عبد على نفسه**).

ومما يؤيد ذلك أنه قد ورد في بعض روايات حديث الجهنميين هذا أن هذا الرجل منهم، حيث ذكرت أنه آخر أهل النار خروجاً منها)[١] .

فتعال معي لنفهم كلام الإمام ابن خزيمة حتى يندمل الجرح، ويأتلف الصف، فأعرني انتباهك، فالأمر جد خطير، وكما ذكرتُ الطريق زلق والناجون قليل، ولكي نقف على الفهم الصحيح لهذا الكلام النفيس الذي يجب أن يُنقش على الصدور بماء الذهب، سنستعرض معاً هذه القواعد .

---

(١) نقلاً من قراءة نقدية ص ٣٩٩، ٤٠٠ .

القاعدة الأولى

أن الله لا يقبل من العبد إلا الأعمال الصالحة [١]

اعلم أن الله لا يقبل من العبد إلا الأعمال الصالحة، والعمل الصالح هو الذي تتوافر فيه شروط القبول وهما شرطان: الإخلاص لله. والمتابعة للرسول ﷺ.

فهما شرطا صحة العمل وقبوله، وإن غاب أحدهما أو كلاهما أصبح ذلك العمل حابطاً مردوداً لا يقبله الله، لأن هذين الشرطين هما مضمون الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

يقول ابن عثيمين: ولأن هاتين الشهادتين أساس صحة الأعمال وقبولها إذ لا صحة لعمل ولا قبول إلا بالإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ؛ فبالإخلاص لله تتحقق شهادة أن لا إله إلا الله، وبالمتابعة لرسول الله تتحقق شهادة أن محمداً عبده ورسوله [٢].

ويقول ابن تيمية - رحمه الله -: وجماع الدين أصلان أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع (لا نعبده بالبدع) كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله، ففي الأولى: (أي في الشهادة الأولى) أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمداً ﷺ هو رسوله المبلغ عنه، فعلينا أن نصدّق خبره ونطيع أمره، وقد بين ﷺ ما يُعْبَد الله به، ونهانا عن محدثات الأمور، وأخبر أنها ضلال. ا.هـ [٣].

---

(١) هذه القاعدة من أعظم قواعد هذا الدين؛ لذا بسطتُ فيها القول في الأصل الثاني من الكتاب الأصل "الأصول الأربعة" أسأل الله أن يوفقني فيه وفي غيره لما يحب ويرضى وأن ييسر لي إتمامه عما قريب.

(٢) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين ص ٩ - ١٠.

(٣) العبودية لابن تيمية ص ١٣٧.

وعن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ قال: " أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث عمر رضي الله عنه « **إنما الأعمال بالنيات** » [١] ، وحديث عائشة رضي الله عنها « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » [٢]، وحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه « **الحلال بيِّن والحرام بين** » [٣] . [٤] .

قال ابن رجب: ومعنى ما رواه الإمام أحمد أن أصول الإسلام ثلاثة أحاديث: ... أن الدين كله يرجع إلى فعل المأمورات وترك المحظورات والتوقف عن الشبهات، وهذا كله تضمنه حديث النعمان بن بشير وإنما يتم ذلك بأمرين، أحدهما: أن يكون العمل ظاهره موافقة السُّنَّة، وهذا هو الذي يتضمنه حديث عائشة " من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد "، والثاني: أن يكون العمل في باطنه يُقصد به وجه الله كما تضمنه حديث عمر رضي الله عنه " **الأعمال بالنيات** " [٥] .

وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون صواباً خالصاً، فالصواب أن يكون على السُّنَّة وإليه الإشارة بقوله ﴿ **فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا** ﴾ والخالص أن يخلُص من الشرك الجلي والخفي وإليه الإشارة بقوله: ﴿ **وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [٦] .

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ:

العبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ولها أصلان: أحدهما: أن لا يُعبد إلا الله. الثاني: أن لا يعبده إلا بما أمر وشرع، لا يعبده بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع، قال تعالى:

---

(١) البخاري برقم ١ ، ٥٤ ، ٢٣٩٢ ، ٣٦٨٥ ، ٤٧٨٣ ، ٦٣١١، ٦٥٥٢، ومسلم برقم ١٥٥ / ١٩٠٧ ، ابو داود برقم ٢٢٠١ ، وابن ماجة برقم ٤٢٢٧ .

(٢) البخاري برقم ٢٥٥٠ ، ومسلم برقم ١٧ / ١٧١٨ ، وابن ماجة برقم ١٤ .

(٣) البخاري برقم ٥٢، ١٩٤٦ ومسلم برقم ١٠٧ / ١٥٩٩ ، والترمذي برقم ١٢٢١ ، وابن ماجة برقم ٣٩٨٤ ، والنسائي برقم ٤٤٤٨ .

(٤) جامع العلوم والحكم ص ١٥ .

(٥) السابق ص ١٥ .

(٦) تيسير العزيز الحميد (١ / ٤٦٥) .

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ .

[الكهف : ١١٠] .

وقال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) ﴾ [البقرة : ١١٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً (١٢٥) ﴾ [النساء : ١٢٥] .

فالعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله ﷺ ،وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ولا في صحيح السُّنَّة فإنها ـ وإن قالها من قالها وعمل بها من عمل ـ ليست مشروعة، فإن الله لا يحبها ولا رسوله فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح، كما أن من يعمل ما لا يجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح.

وأما قوله: ﴿ وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وقوله: ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ فهو إخلاص الدين لله وحده، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: " اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً "، وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك : ٢] .

قال: أخلصه وأصوبه، قالوا يا أبا عليّ ما أخلصه وأصوبه ؟ ، قال: " إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السُّنَّة ". أ هـ [١] .

ولذلك ساق الآجري بسنده عن عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود

---

(١) العبودية لابن تيميه رحمه الله ص ٣٩- ٤٠ .

ﷺ قالا : لا ينفع قول إلا بعمل ، ولا عمل إلا بقول، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السُّنَّة [(١)] .

وعن الحسن قال: (الإيمان قول، ولا قول إلا بالعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنيه، ولا قول وعمل ونية إلا بسُنَّة) [(٢)] .

قال ابن رجب: (فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء) [(٣)].

قال ابن القيم: (العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه) [(٤)] .

ومعنى ذلك أن العمل الصالح المتقبل لابد وأن يتوافر فيه هذان الشرطان : الإخلاص والمتابعة، وكل عمل لا يجتمع فيه هذان الشرطان كان حابطاً، مردوداً غير مقبول عند الله ـ أعاذنا الله وإياكم من هذا الخسران المبين ـ وإن اجتمعا فإن ذلك العمل يكون صحيحاً مقبولاً، ولصاحبه عليه أجر، وبه تبرأ الذمة أمام الله ، ويسقط عنه به الفرض لأنه فعل ما أمره الله به، وبهذا ينجو صاحب هذا العمل إن شاء الله من النار ويكون من أهل الجنة.

وكل عمل لا يتوافر فيه هذان الشرطان، فهو غير صالح، مردود على صاحبة، لا يقبله الله ، ومن نواقض هذين الشرطين: الشرك الأصغر ومنه الرياء والسمعة، والبدعة غير المكفرة بكل صورها، واتباع الهوى، وترك ما لا يصح العمل إلا به، فكل من اتصف عمله بشيء من هذه الأدران فعمله حابط مردود، وإن بقيت له صورته في الدنيا.

---

(١) الشريعة ص ١٢٧ برقم ٢٨٠ أثر رقم ١٣٤ .
(٢) المرجع السابق ص ١٢٧ برقم ٢٨١ أثر رقم ١٣٥ .
(٣) جامع العلوم والحكم ٦٧ .
(٤) الفوائد ص ٦٧ .

ويشهد لذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأُتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل: ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه ثم ألقي في النار**» [(١)] .

فهؤلاء الثلاثة، بقيت لهم صور أعمال وأسماء، لا تغنيهم، ولا تسمنهم من جوع، لأنهم أفسدوها برياء وسمعة، فبقيت لهم صورها وأسماؤها لا روح فيها، وظنوا أن مجرد الصور والأسماء ستنفعهم يوم القيامة، ولكن هيهات لعمل غير صالح أن يُقبل، (فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً) [(٢)] .

فالأعمال إما أن تكون صالحة مقبولة وهي ما توافر فيها شرطي القبول، وإما أن تكون غير صالحة لخلوها من أحد شرطي القبول، وهي أعمال حابطة مردودة.

---

(١) رواه مسلم برقم ١٥٢ / ١٩٠٥ ، والنسائي في السنن برقم ٣١٣٧ ، وفي الكبرى برقم ٤٣٤٥ ، وأحمد برقم ٨٢٦٠ .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم برقم ٦٥ / ١٠١٥ ، والترمذي برقم ٢٩٨٩ ، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ١١٥٩ .

القاعدة الثانية
أن الله ذكر في كتابه أن دخول الجنة مرهون بأن يعمل العبد بجوارحه عملاً صالحاً

يقول الآجري: اعلموا - رحمنا الله تعالى وإياكم - يا أهل القرآن، ويا أهل العلم، ويا أهل السُنن والآثار، ويا معشر من فقههم الله في الدين بعلم الحلال والحرام، أنكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله علمتم أن الله أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله ﷺ : العمل، وأنه لم يثنِ على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم قد رضوا عنه، وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة، والنجاة من النار إلا بالإيمان والعمل الصالح، وقرن مع الإيمان العمل الصالح ،لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده حتى ضم إليه العمل الصالح، الذي قد وفقهم له، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقاً بقلبه، وناطقاً بلسانه، وعاملاً بجوارحه، لا يخفي من تدبر القرآن وتصفحه وجده كما ذكرت.

واعلموا - رحمنا الله تعالى وإياكم - أني قد تصفحت القرآن فوجدت فيه ما ذكرته في ستة وخمسين موضعاً من كتاب الله : أن الله تبارك وتعالى لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم، وبما وفَّقهم له من الإيمان به، والعمل الصالح، وهذا رد على من قال: الإيمان: المعرفة، ورد على من قال: المعرفة والقول وإن لم يعمل نعوذ بالله من قائل هذا.

فإن قال قائل: فاذكر هذا الذي بينته من كتاب الله ليستغني غيرك عن التصفح للقرآن. قيل له: نعم، والله تعالى الموفق لذلك، والمعين عليه.

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ**

وأُتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة :٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿٢٧٧﴾ ﴾ [البقرة :٢٧٧] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴿٥٦﴾ وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ﴿٥٧﴾ ﴾ [آل عمران :٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴿٥٧﴾ ﴾ .

[النساء : ٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

[النساء : ١٢٢] [١].

ثم ذكر تمام الستة وخمسين موضعاً [٢] ثم قال ـ رحمه الله ـ ميزوا رحمكم الله قول مولاكم الكريم : هل ذكر الإيمان في موضع واحد من القرآن إلا وقد قرن إليه العمل الصالح ؟ .

وقال تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [فاطر: ١٠] .

فأخبر جل ثناؤه بأن الكلم الطيب حقيقته : أن يُرفع إلى الله بالعمل الصالح، فإن لم يكن عمل بطل الكلام من قائله، ورُد عليه، ولا كلام أطيب وأجل من التوحيد، ولا عمل من عمل الصالحات أجل من أداء الفرائض.

ثم ساق بسنده عن الحسن قال : قال قوم على عهد رسول الله ﷺ : إنا

---

(١) الشريعة للآجري ص ١١٩ – ١٢٠ .

(٢) انظر للاستزادة، الشريعة للآجري ص ١٢٠ – ١٢٥ .

لنحب ربنا ، فأنزل الله بذلك قرآنا فقال جل ثناؤه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) ﴾ .

[آل عمران : ٣١].

فجعل اتباع نبيه محمد ﷺ عَلَماً لحبه وكذب من خالفه ، ثم جعل على كل قول دليلاً من عمل يصدقه، ومن عمل يكذبه، فإذا قال قولاً حسناً وعمل عملاً حسناً، رفع الله قوله بعمله، وإذا قال قولاً حسناً وعمل عملاً سيئاً، رد الله القول على العمل وذلك في كتاب الله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠] (١) .

(١) الشريعة ص ١٢٥، ١٢٦ .

القاعدة الثالثة

أن الأعمال قد يظهر أثرها على العبد في الدنيا، وفي الآخرة يظهر أثر العمل الصالح على صاحبه، والعمل المردود لا يظهر أثر صورته على صاحبه

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه : (ما عمل رجل عملاً إلا ألبسه الله رداءه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر) [١] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق) [٢].

قال إبراهيم بن أدهم: إن للذنوب ضعفاً في القوة، وقسوة في القلب، وإن للحسنات قوة في البدن، ونوراً في القلب [٣] .

قال ابن تيمية: قال بعض السلف : ما أسر أحدٌ سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وقد قال تعالى في حق المنافقين: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد : ٣٠] [٤] .

قال ابن القيم: وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم، حتى إن الرجل الطيب البَر لتشُم منه رائحة طيبة؛ وإن لم يمس طيباً، فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس، والمزكوم الذي أصابه الهوى لا يشم لا هذا ولا ذاك، بل زكامه يحمله على الإنكار [٥] .

---

(١) ذكره ابن القيم في الوابل الصيب ص ٢٦ .

(٢) ذكره ابن القيم في الوابل الصيب ص ٢٦ ، في الجواب الكافي ص ٥٦ .

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم ٧٢٢٠ .

(٤) مجموع الفتاوى ٧ / ٤٠٨ .

(٥) الوابل الصيب ص ٢٦ .

فمن صَفَتْ سريرته، واستنارت بصيرته، وطهُرت نفسه، وسلمَت فطرته، فإنه يرى في الدنيا آثار الأعمال الصالحة والمردودة على عامليها، أما في الآخرة فتظهر آثار الأعمال الصالحة على أصحابها.

قال ابن القيم: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩﴾ أي تُختبر، وقال مقاتل: تظهر وتبدو، وبلوت الشيء إذا اختبرته؛ ليظهر لك باطنه وما خفي منه، والسرائر جمع سريرة، وهي سرائر الله التي بينه وبين عبده في ظاهره وباطنه لله، فالإيمان من السرائر، وشرائعه من السرائر، فتختبر ذلك اليوم حتى يظهر خيرها من شرها، ومؤديها من مضيعها، وما كان لله مما لم يكن له، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: يبدي الله يوم القيامة كل سر فيكون زيناً في الوجوه أوشيناً فيها، والمعنى تُختبر السرائر بإظهارها، وإظهار مقتضياتها من الثواب والعقاب، والحمد والذم.

وفي التعبير عن الأعمال بالسر لطيفة وهي أن الأعمال نتائج السرائر الباطنة فمن كانت سريرته صالحة كان عمله صالحاً فتبدو سريرته على وجهه نوراً وإشراقاً وحياءً، ومن كانت سريرته فاسدة كان عمله تابعاً لسريرته لا اعتبار بصورته، فتبدو سريرته على وجهه سواداً وظُلمة وشيناً، وإن كان الذي يبدو عليه في الدنيا إنما هو عمله لا سريرته، فيوم القيامة تبدو عليه سريرته، ويكون الحكم والظهور لها [1].

ومثال ذلك: ما ورد في حديث النور الذي يعطاه من نطق بالشهادة، والذي رواه الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يجمع الله الناس يوم القيامة ... فيُعطون نورهم على قدر أعمالهم، قال: فمنهم من يُعطي نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطي نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطي نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطي دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر ذلك من يعطي نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة، ويطفيء مرة،**

(١) التبيان في أقسام القرآن ص ٦٤ .

فإذا أضاء قدَّمه، وإذا طفيء قام، فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال: انجوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الرجْلِ ويرمل رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، قال: يجر يداً ويعلّق يداً، ويجر رِجلاً ويعلّق رجلاً، وتضرب جوانبه النار، قال: فيخلُصوا، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منْكِ بعد الذي أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحداً » [1] .

وما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**والذي نفسي بيده لا يكْلَم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكْلَم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك**) [2] .

وما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده؛ لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**) [3] .

وما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت النَّبي ﷺ يقول: (**إن أمتي يُدْعَون يوم القيامة غُراً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غُرَّته فليفعل**) [4] .

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه برقم ٣٤٢٤ ، والطبراني في الكبير برقم ٩٧٦٣ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٥٩١ ، وفي شرح العقيدة الطحاوية برقم ٤٦٩ .

(٢) رواه البخاري برقم ٢٦٤٩ ، والترمذي برقم ١٦٥٦ ، والطبراني في الأوسط برقم ٨٧٨٧ .

(٣) رواه مسلم برقم ١٦٣ / ١١٥١ ، والبخاري برقم ١٧٩٥ ، والنسائي برقم ٢٢١٦ ، وابن خزيمة برقم ١٨٩٦ ، وابن حبان برقم ٢٤٢٣ .

(٤) رواه البخاري برقم ١٣٦ ، ومسلم برقم ٣٥ / ٢٤٦ ، وأحمد برقم ٩١٨٤ .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن ظهور أثر هذه الصفات والتي منها طيب ريح خَلوف فم الصائم، والمكلوم (المجروح) في سبيل الله يوم القيامة خاصة: لأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر، فيظهر للخلق طِيب ذلك الخلوف على المسك، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر، وتبدو على الوجوه، وتصير علانية، ويظهر فيه قبح رائحة الكفار، وسواد وجوههم (١) .

وبذا يتضح أنه من عمل عملاً صالحاً أكرمه الله به في الدنيا، وفي الآخرة يكرمه بأن يُظهِر عليه علامة على قدر هذا العمل بها يُعرف.

أما الأعمال المردودة فلا يظهر على أصحابها من آثارها شيئاً، لأنها كانت مجرد صور أعمال لا روح فيها في الدنيا، أما في الآخرة فيقول عنها المولي : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان :٢٣] .

يقول ابن كثير: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ** ﴾ الآية، هذا يوم القيامة، حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر، فأخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصاً، وعلى الشريعة المرضية؛ فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين وقد تجمعهما معا؛ فتكون أبعد من القبول حينئذ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢) .

وفي تفسير الجلالين قالا : ﴿ **وَقَدِمْنَا** ﴾ عمدنا ﴿ **إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ** ﴾ من الخير كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿ **فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ هو ما يُرى في الكوى التي عليها الشمس كالغبار المفرق : أي مثله في

(١) الوابل الصيب ص ٢٥ .
(٢) عمدة التفاسير (٢/ ٦٠٨) .

عدم النفع به؛ إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه، ويجازون عليه في الدنيا [١]، ومثاله: قوله تعالى عن من تصدق وأتبع صدقته بالمن والأذى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وورد في من صام وقال زوراً وعمل به عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**) [٢].

وعن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**رُب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ورب قائم حظه من قيامه السهر**) [٣].

وما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال للمسيء صلاته رغم أنه صلى: (**ارجع فصلِ فإنك لم تصلِ**) [٤].

ومن ذلك يتضح أنه من عمل لله عملاً صالحاً كتب له به أجر، وأظهر عليه يوم القيامة أثره علامة على قدر هذا العمل بها يُعرف، أما من عمل عملاً حابطاً مردوداً فليس له به أجر، وبذا لا يظهر عليه أية علامة فلا يعرفه أحد.

---

(١) تفسير الجلالين ٤٧٣ .

(٢) رواه البخاري برقم ١٨٠٤، ٥٧١٠ ، وابو داود برقم ٢٣٦٢ ، والترمذي برقم ٧٠٧ ، وأحمد برقم ٩٨٣٨ ، وابن حبان برقم ٣٤٨٠ ، والبيهقي في الكبرى برقم ٨٠٩٥ ، والنسائي في الكبرى برقم ٣٢٤٦ .

(٣) رواه أحمد برقم ٨٨٤٣ ،وقال الأرنؤوط: إسناده جيد، وابن خزيمة برقم ١٩٩٧ ، وقال الأعظمي: إسناده صحيح، والطبراني في الكبير برقم ١٣٤١٣ ، والبيهقي في الكبرى برقم ٨٠٩٧ ، وصححه الألباني في الجامع الصغير برقم ٣٤٩٠ .

(٤) رواه البخاري برقم ٧٢٤ ، ومسلم برقم ٤٥ / ٣٩٧ ، وابو داود برقم ٨٥٦ ، والترمذي ٣٠٣ ، وسنن النسائي برقم ٨٨٤ ، وابن ماجة برقم ١٠٦٠ ، أحمد برقم ٩٦٣٣ ، وابن خزيمة برقم ٤٦١ .

القاعدة الرابعة

يُفترض(١) أن العاملين ينقسمــون إلى أقســام

لقد انطلقت في هذه القاعدة تأسيساً على ما تم تقريره وتحقيقه في شرط المحبة من أن عمل القلب أصل في عمل الجوارح، وعمل الجوارح تبع لعمل القلب، وتأثير كل منها في الآخر وتأثره به.

يقول ابن تيمية: عمل القلب أصل لعمل الجوارح، والقلب هو ملك البدن كما قال أبو هريرة رضي الله عنه : القلب ملك، والأعضاء جنوده؛ فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده، وفي الصحيحين عن النَّبي ﷺ أنه قال: **«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ، ألا وهي القلب»** (٢) . (٣) .

فانشأتُ هذا التقسيم على أساس وجود كل من عمل القلب وعمل الجوارح في ذات الشخص مع دواعي وجود كل منهما أو انتفاؤه، وليس هذا التقسيم بدعاً من القول ابتدعته من عند نفسي، فقد قسَّم الله المكلفين إلى سابقٍ بالخيرات ومقتصدٍ، وظالمٍ لنفسه، وقسَّم الإمام ابن القيم المكلفين إلى مراتب وطبقات في الدار الآخرة،والفارق بينه وبيني،أنه ـ رحمه الله ـ قسَّم المكلفين بحسب طبقاتهم في الآخرة،أما أنا فقسَّمتُهم على حسب ما معهم من عمل القلب وعمل الجوارح في الدنيا وأثر ذلك عليهم في مسألة (الأسماء والأحكام) (٤) .

---

(١) الافتراض هو وضع احتمال وإثبات مدى صحته فإن ثبتت صحته أصبح فرضاً.

(٢) رواه البخاري برقم ٥٢ ، ومسلم برقم ١٠٧ / ١٥٩٩ ، وابن ماجة برقم ٣٩٨٤ ، والدارمي برقم ٢٥٣١ ، وابن حبان برقم ٢٩٧ ، والطبراني في الصغير برقم ٣٨٢ ، والبيهقي في الكبرى برقم ١٠١٨٠ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٣ / ١٣٤ .

(٤) مسالة الأسماء والاحكام تعني ما اسم العبد في الدنيا هل هو مؤمن، أم كافر، أم ناقص الإيمان ؟ وحكمه في الآخرة، هل من أهل الجنة، أم من أهل النار، أم ممن يدخل النار ثم يخرج منها ويخلد في الجنة ؟ انظر طريق الهجرتين ص ٣٦٥ ، لابن القيم.

واليك بيان هذه الأقسام:

الأول: عمل بقلبه، وعمل بجوارحه أعمالاً كاملةً كماً وكيفاً [١] .

أولئك الذين اصطفاهم الله واجتباهم لتبليغ دينه لعباده، وهم الرسل والأنبياء وأرفعهم مكانة أولو العزم منهم وهم محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ [الأحزاب : ٧] . وقوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى :١٣] .

الثاني: عمل بقلبه، وعمل بجوارحه أعمالاً ناقصةً كماً كاملةً كيفاً [٢] .

وهؤلاء منهم من عمل بمعظم ما وصل إليه، وهذا هو السابق بالخيرات، ومنهم من عمل ببعض ما وصل إليه، وهذا هو الظالم لنفسه، ومنهم من توسط الأمر؛ فهو دون السابق بالخيرات وفوق الظالم لنفسه، وهذا هو المقتصد، وأرفعهم مكانة الصديقون، وأقلهم من رجحت سيئاته على حسناته ممن أسرف على نفسه في المعاصي مع إقراره بالتوحيد .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[فاطر : ٣٢] .

---

(١) اقصد انه عمل بكل ما وصل إليه من أمور الدين وهذا هو الكمال الكمي ، ملتزماً فيها بشرطي القبول وهذا هو الكمال الكيفي .

(٢) أقصد أنه عمل بمعظم أو بعض ما وصل إليه من أمور الدين ملتزماً فيها بشرطي القبول .

قال ابن كثير: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع: فقال تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ وهو المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ وهو المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات [١].

وهؤلاء ينقسمون يوم القيامة قسمين:

الأول: من سيدخل الجنة من أول وهلة، وأولهم دخولاً أكملهم أعمالاً وأعظمهم حسنات، وآخرهم دخولاً أصحاب الأعراف وهم من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم وذلك بعد أن يُحبسوا على الأعراف فترة من الزمن.

الثاني: من رجحت سيئاتهم على حسناتهم فهم في مشيئة الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم، فمنهم من سيُدخلون النار يتطهرون فيها من سيئاتهم، وكل واحد يناله من العذاب على قدر ما معه من السيئات، وبعد ذلك يأذن الله للشفعاء من الملائكة والنبيين والمؤمنين فيُشَفِّعُهم فيهم، وفي كل مرة يحد الله للشفعاء حداً فيعرفون من ينطبق عليه هذا الحد بما يظهر عليه من علامات أعماله التي يُظهرها عليه ربه [٢] فيخرجونه من النار إلى الجنة.

ويبقى منهم بقية هم الذين أسرفوا على أنفسهم لدرجة أنهم يصح أن يقال عنهم: (لم يعملوا خيراً قط)، لضآلة ما معهم من الخير، ولكن معهم عمل قلب

---

(١) عمدة التفاسير ٣ / ٩٧.

(٢) مثل من كان مصلياً يعرفونه بموضع سجوده لأن النار لا تأكل موضع السجود وذلك لما رواه النسائي في سننه أن عن عطاء بن يزيد قال: كنت جالساً إلى أبي هريرة وأبي سعيد فحدَّث أحدهما حديث الشفاعة والآخر منصت قال: فتأتي الملائكة فتشفع، وتشفع الرسل، وذكر الصراط قال: قال: رسول الله ﷺ: « **فأكون أول من يجيز، فإذا فرغ الله من القضاء بين خلقه، وأخرج من النار من يريد أن يُخرج، أمر الله الملائكة والرسل أن تشفع، فيعرفون بعلاماتهم، إن النار تأكل كل شيء من ابن آدم إلا موضع السجود، فيُصب عليهم من ماء الجنة؛ فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل** » سُنن النسائي برقم ١١٤٠.

في غاية الضعف، لدرجة أنه لم يقو على زجرهم عن المعاصي، أو دفعهم للطاعة، ومنهم الذي قال لأولاده إذا مات أن يحرقوه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**قال رجل لم يعمل خيراً قط فإذا مات فحرقوه واذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت؟ قال من خشيتك وأنت أعلم، فغفر له**) [١]، وفي رواية مسلم (قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله) وفي الرواية التي بعدها (أسرف رجل على نفسه)، وفي الرواية التي عند أحمد أنه آخر الناس خروجاً من النار، وذلك بشفاعة الشفعاء وليس مطلقاً [٢]، فقد ثبت خروج أناس بعده بشفاعة أرحم الراحمين بعدما يشفع الشفعاء.

وبالنظر إلى آخر هذا القسم، يظهر أن لهم بعض الأعمال الصالحة، ولكنها ضئيلة جداً لدرجة أنها لا تُعَدُّ شيئاً يُذكر، ـ كذلك الذي كان يسامح الناس في البيع والشراء، والذي اعترف بالبعث والميعاد ـ (أي لم يعملوا خيراً قط)، ولذلك سيتعرف عليهم الشفعاء بما معهم من أعمال ضئيلة صالحة فيُخرجونهم من النار.

الثالث: عمل بقلبه، وعمل بجوارحه أعمالاً ناقصة كماً وكيفاً [٣].

هؤلاء قوم لهم صور بعض الأعمال الحابطة المردودة التي لم تتوافر فيها شرطا القبول، عملوها في الدنيا ولم يؤجروا عليها لعدم صلاحها، فهم لم يعملوا خيراً

(١) رواه البخاري برقم ٧٠٦٧ ، ومسلم برقم ٢٤ / ٢٧٥٦ .

(٢) روى أحمد في مسنده برقم ١٥ حديث طويل من حديث أبي بكر رضي الله عنه وفيه: «**ثم يقول الله انظروا في النار هل تلقون من أحد عمل خيراً قط ؟ ، قال: فيجدون في النار رجلاً، فيقول له: هل عملت خيراً قط ؟، فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع والشراء، فيقول الله: اسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدى، ثم يُخرجون من النار رجلاً، فيقول له: هل عملت خيراً قط؟ فيقول: لا، غير أني قد أمرت ولدي إذا مت فاحرقوني بالنار**»، قال الأرنؤط: إسناده حسن.

(٣) أي عمل ببعض ما وصل إليه من أمور الدين غير ملتزمٍ فيها بشرطي القبول.

قط، لأنهم لم يعملوا أعمالاً صالحة قط، فلا تظهر عليهم علامة يُعرفون بها، ولذا لا يتعرف عليهم الشفعاء فيتركونهم في النار ويقولون لربهم: (لم نذر فيها خيراً)، ولكن انتبه فقد دفعهم لعمل هذه الأعمال الحابطة المردودة عمل قلب في غاية الضعف لم ينهض بهم ليصلحوا أعمالهم، ولم يذرهم بلا عمل، ولما كانوا من الخفاء بمكان لا يعلمه إلا الله في الدنيا والآخرة، كان جَلَّ شأنه أعلم بهم في الدنيا، ومخرجهم من النار في الآخرة، رغم أنهم لم يعملوا خيراً قط.

الرابع: عمل بقلبه ولم يعمل بجوارحه وهؤلاء صنفين:

الصنف الأول: لم يعمل بجوارحه لأنه عجز عن العمل:

قال ابن تيمية: فإذا أقرَّ القلبُ إقراراً تاماً بأن محمداً رسول الله، وأحبه محبة تامة، امتنع مع ذلك أن لا يتكلم بالشهادتين مع قدرته على ذلك، لكن إن كان عاجزاً لخرس ونحوه أو لخوف ونحوه لم يكن قادراً على النطق بهما (١).

قال ابن القيم: الايمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته، فلا ينفع ظاهر لا باطن له؛ وإن حُقِن به الدماء، وعُصِم به المال والذرية، ولا يجزىء باطن لا ظاهر له؛ إلا إذا تعذَّر بعجز أو إكراه وخوف هلاك (٢).

هؤلاء معهم عمل قلوبهم ولكن حال دون ظهور أعمال على جوارحهم أعذار شديدة، مثل:

[١] من مات قبل بلوغ المقصود:

(أ) مثل الذي قتل مائة نفس وأراد أن يتوب:

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: (**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُل على راهب**

(١) مجموع الفتاوي ١٠ / ١٧١.
(٢) الفوائد ص ١١٧.

فأتاه، فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُل على رجل عالم، فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟، فقال : نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ؛ فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك ؛ فإنها أرض سوء ،فانطلَق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاه ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال : قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة) [1] .

﴿ ب ﴾ من قُتل في المعركة، أو مات من فوره بعد إسلامه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ، يقاتل هذا في سبيل الله فيُقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**) [2] .

[٢] من نطق بالشهادة في مرض موته ثم مات.مثاله:

عن أنس رضي الله عنه قال : كان غلام يهودي يخدم النَّبي ﷺ فمرض فأتاه النَّبي يعوده فقعد عند رأسه فقال له : (أسلم) . فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ ، فأسلم فخرج النَّبي ﷺ وهو يقول: (**الحمد لله الذي أنقذه من النار**) [3] ، وفي روايات الإمام أحمد أن هذا الغلام مات بعد نطقه

---

(١) رواه مسلم برقم ٤٦ / ٢٧٦٦ ، واحمد برقم ١١٧٠٥ ، والبيهقي في الكبرى برقم ١٥٦١٤ ، وفي شُعب الإيمان برقم ٧٠٦٦ .

(٢) رواه البخاري برقم ٢٦٧١ ، ومسلم برقم ١٢٨ / ١٨٩٠ ، والنسائي برقم ٣١٦٥ ، وابن ماجة برقم ١٩١ ، واحمد برقم ٩٩٧٧ ، وابن حبان برقم ٢١٥ ، والبيهقي في الكبرى برقم ١٨٣١٤ .

(٣) رواه البخاري برقم ١٢٩٠ ، وابو داود برقم ٣٠٩٥ ، وابن حبان برقم ٤٨٨٤ ، واحمد برقم ١٤٠١٠ .

بالشهادة، ولذلك كان النبي ﷺ يلح على عمه في مرض موته بالنطق بالشهادة، فقد ورد عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره: أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: **(يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله)** . فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ ، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ : **(أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)** . فأنزل الله تعالى فيه ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)** ﴾ [التوبة : ١١٣] (١) .

[٣] من نطق بالشهادة ولم يعرف غيرها لاندراس الدين، أو لعزلة غير مقصودة، في منأى عن مخالطة البشر كجزيرة أو فلاة بعيدة ، ومثاله:

ما ورد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(يَدْرُسُ الإسلام كما يدرُسُ وشي الثوب ، حتى لايدري ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، ولَيُسرى على كتاب الله في ليلة، فلا يبقي في الأرض منه أية، وتبقى طوائف من الناس، والشيخ الكبير، والعجوز، يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله، فنحن نقولها)** فقال له صلة: ما تغنى عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نُسك، ولا صدقة ؟ فأعرض عنه حذيفة. ثم ردها عليه ثلاثاً. كل ذلك يُعْرِض عنه حذيفة. ثم أقبل عليه في الثالثة فقال ياصلة تنجيهم من النار . ثلاثاً (٢) .

---

(١) رواه البخاري بأرقام ١٢٩٤، ٣٦٧١، ٤٣٩٨، ٤٤٩٤ ، ومسلم برقم ٣٩ / ٢٤ ، وأحمد برقم ٢٣٧٢٤ ، والنسائي في السنن برقم ٢٠٣٥ .

(٢) رواه ابن ماجة برقم ٤٠٤٩ ، والحاكم في المستدرك برقم ٨٤٦٠ ، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٢٠٢٨ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٨٧ ، وفي صحيح ابن ماجة برقم ٤٠٣٩ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة التي يندرس فيها كثير من علوم النبوات؛ حتى لا يبقى من يبلِّغ ما بعث الله به رسوله؛ من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيراً مما يبعث الله به رسوله، ولا يكون هناك من يبلِّغه ذلك، ومثل هذا لا يُكَفَّر، ولهذا اتفق الأئمة على أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والايمان، وكان حديث العهد بالاسلام، فأنكر شيئاً من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة، فإنه لا يُحكم بكفره؛ حتى يعرف ما جاء به الرسول ولهذا جاء في الحديث (يأتي على الناس) [١]، وذكر الحديث المتقدم.

قال العلامة الألباني: وهذا الحديث الصحيح يستفاد منه أن الجهل قد يبلغ ببعض الناس أنهم لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادة، وهذا لا يعني أنهم يعرفون وجوب الصلاة وسائر الأركان ثم هم لا يقومون بها، كلا ليس في الحديث شيء من ذلك؛ بل هم في ذلك ككثير من أهل البوادي والمسلمين حديثاً في بلاد الكفر لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين [٢] .

[٤] من نطق بالشهادة ثم ألمَّ به مرضٌ أفقده السيطرة على جوارحه قبل أن يعمل بها أي عمل، أو خاف خوفاً شديداً حال دون إظهاره لما يبطنه ثم مات.

فهؤلاء معهم عمل قلب بكل حال أقوى من القسم الذي يسبقه، ولكنهم فقدوا القدرة على العمل تماماً، فليس لهم عمل صالح ظاهر، فحالهم مستور في الدنيا والآخرة [٣] فلا يعلمهم إلا الله .

انتبه واعلم: أن من هذا الصنف أناساً عمل قلوبهم بلغ من القوة إلى أنهم

---

(١) مجموع الفتاوى ١١ / ٢٣٢ .

(٢) حكم تارك الصلاة ص ٥٥ .

(٣) الذي يدلك على أن حالهم مستور في الدنيا والآخرة اختصام الملائكة في من قتل مائة نفس، فلو كان ظاهراً لما اختلفوا فيه، والذي يدلك على وجود عمل قلبه قول ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله ، والذي يدلك على أنه لم يعمل بجوارحه خيراً قط قول ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط ، فقد عمل بقلبه ولم يقدر على العمل بجوارحه. فهذا الصنف لن يدخل النار رغم أنه لم يعمل خيراً قط لما يقوم بقلوبهم من الأعمال.

يدخلون الجنة من أول وهلة فتأمل قول النَّبي ﷺ في الغلام اليهودى: (**الحمد لله الذي أنقذه من النار**) ، ومنهم من أسرف على نفسه بالمعاصي فتأمل حال قاتل المائة نفس وكذا صاحب البطاقة التي تطيش بالسجلات.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله سيخلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة؛ فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتُخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول :احضر وزنك فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟، فقال: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء** » (١) .

يقول ابن القيم: فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب فتكون صورة العملين واحدة وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض والرجلان يكون مقامهما في الصف واحداً وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر فتثقل البطاقة وتطيش السجلات فلا يُعذَّب، ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل وطاشت لأجله السجلات : لما

---

(١) رواه الترمذي برقم ٢٦٣٩ ، وقال حسن غريب، وابن ماجة برقم ٤٣٠٠ ، وأحمد برقم ٦٩٩٤ ، وقال الأرنؤوط: إسناده قوى رجاله ثقات، وابن حبان برقم ٢٢٥ ، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، والحاكم في المستدرك برقم ٩ ، وقال: حديث صحيح ولم يخرج في الصحيحين وهو على شرط مسلم، ووافق الذهبى، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٨٣ ،وصححه الألباني في صحيح ١٧٧٦ ،وفي مشكاة المصابيح برقم ٥٥٥٩ ، وفي السلسلة الصحيحة برقم ١٣٥ .

لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات انفردت بطاقته بالثقل والرزانة [١] ... ثم قال: فهكذا الأعمال والعُمَّال عند الله والغافل في غفلة من هذا الإكسير الكيماوي، الذي إذا وضع منه مثقال ذرة على قناطير من نحاس الأعمال قلبها ذهباً والله المستعان [٢] .

يقول ابن أبي العز: فإن المنافقين يقولونها (أي الشهادة) بالسنتهم وهم تحت الجاحدين في الدرك الأسفل من النار فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة؛ ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يُعذَّب صاحبها ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار [٣] .

وهذا الصنف أناس لم يعملوا خيراً قط لأنهم لم يتمكنوا من العمل لأعذار شديدة ، لكن معهم عمل قلب، فيدخلون بإذن الله ورحمته الجنة من أول وهلة مع القسم الأول.

الصنف الثاني:لم يعمل بجوارحه قط مع القدرة، غير جاهل، ولا معذور:

وهذا الصنف يستحيل وجوده شرعاً وعقلاً، لأنه يستحيل أن يوجد في القلب أدني قدر من المحبة وما تبعها من أعمال القلوب تجاه عمل من أعمال الجوارح، ولا تتكون فيه إرادة ليعمل هذا العمل ولو مرة، رغم قدرته على العمل، وعدم وجود ما يمنعه من العمل، فمن لم يعمل بجوارحه قط مع القدرة التامة ووجود العلم، فهذا يدل على عدم وجود عمل القلب أصلاً، وطالما زال عمل القلب زال الإيمان.

---

(١) مدارج السالكين ٣٧١ .

(٢) السابق ٣٧٢ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٣٣٥ .

قال الآجري: فالأعمال ... ـكم الله تعالى ـ بالجوارح: تصديق للإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدّق الإيمان بعمل جوارحه: مثل الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وأشباه لهذه، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمناً، ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركه العمل تكذيباً منه لإيمانه، وكان العمل بما ذكرنا تصديقاً منه لإيمانه، وبالله تعالى التوفيق [١] .

قال ابن تيمية: وأما الإرادة الجازمة فلابد أن يقترن بها مع القدرة فعل المقدور؛ ولو بنظرة، أو حركة رأس، أو لفظة، أو خطوة، أو تحريك بدن [٢] .

وقال أيضاً: وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب، والأعمال الظاهرة لازمة لذلك، لا يُتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب) [٣]

وقال ابن القيم: ولا يجزىء باطن لا ظاهر له؛ إلا إذا تعذّر بعجز أو إكراه وخوف هلاك، فتخلُّف العمل ظاهراً مع عدم المانع دليل على فساد الباطن وخلوه من الإيمان، ونقصه دليل نقصه، وقوته دليل قوته [٤] .

وقال ابن تيمية: إذا تحقق القلب بالتصديق والمحبة التامة المتضمنة للإرادة لزم وجود الأفعال الظاهرة، فإن الإرادة الجازمة إذا اقترنت بها القدرة التامة لزم وجود المراد قطعاً، وإنما ينتفي وجود الفعل لعدم كمال القدرة، أو لعدم كمال الإرادة، وإلا فمع كمالها يجب وجود الفعل الاختياري [٥] .

وقال أيضاً: والإرادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل، فيمتنع أن يكون الإنسان محباً لله ورسوله، مريداً لما يحبه الله ورسوله إرادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله، فإذا لم يتكلم الإنسان بالإيمان مع قدرته دل على أنه ليس في قلبه الإيمان الواجب الذي فرضه الله عليه [٦] .

---

(١) الشريعة للآجري ١١٧ .
(٢) مجموع الفتاوى ٧ / ٣٤٨ .
(٣) مجموع الفتاوى ٧ / ١٣٥ .
(٤) الفوائد ص ١١٧ .
(٥) مجموع الفتاوى ١٠ / ١٧١ .
(٦) مجموع الفتاوى ٧ / ١٢٨ .

وقال ابن أبي العز الحنفي: ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب، إذ لو أطاع القلب وانقاد لأطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده، عدم التصديق المستلزم للطاعة [١] .

وسُئل سفيان بن عيينة عن الإرجاء فقال: يقولون الإيمان قول، ونحن نقول الإيمان قول وعمل، والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصراً بقلبه على ترك الفرائض، وسموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم وليس بسواء، لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية، وترك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر هو كفر [٢] .

وقال ابن تيمية: وإنما قال الأئمة بكفر هذا لأن هذا فرض ما لا يقع، فيمتنع أن يكون الرجل لا يفعل شيئاً مما أُمر به من الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، ويفعل ما يقدر عليه من المحرمات مثل الصلاة بلا وضوء، وإلى غير القبلة، ونكاح الأمهات، وهو مع ذلك مؤمن في الباطن، بل لا يفعل ذلك إلا لعدم الإيمان الذي في قلبه[٣] .

وقال: إذا تبين هذا، وعُلِم أن الإيمان الذي في القلب من التصديق والحب، وغير ذلك يستلزم الأمور الظاهرة من الأقوال الظاهرة، والأعمال الظاهرة، كما أن القصد التام مع القدرة؛ يستلزم وجود المراد، وأنه يمتنع مقام الإيمان الواجب في القلب من غير ظهور موجب ذلك ومقتضاه، زالت الشبه العلمية في هذه المسألة [٤] .

وقال: وهنا أصول تنازع الناس فيها، منها: أن القلب هل يقوم به تصديق أو تكذيب ولا يظهر منه شيء قط على اللسان و الجوارح، وإنما يظهر نقيضه من غير خوف ؟ ، فالذي عليه السلف، والأئمة، وجمهور الناس، أنه لابد من ظهور موجب ذلك على الجوارح، فمن قال أنه يصدّق الرسول، ويحبه ويعظّمه بقلبه، ولم يتكلم بالإسلام قط، ولا فعل شيئاً من واجباته بلا خوف، فهذا لا يكون

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٣٤١ .

(٢) السُنّة لعبد الله بن احمد ص ١٧٦ برقم ٧٤٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ٧ / ١٤٩ .

(٤) مجموع الفتاوى ٧ / ٣٧٩ .

مؤمناً في الباطن، و إنما هو كافر [١] .

وقال: ومن قال بحصول الإيمان الواجب بدون فعل شيء من الواجبات، سواء جعل فعل تلك الواجبات لازماً له، أو جزءاً منه، فهذا نزاع لفظي، كان مخطئاً خطئاً بيِّناً، وهذه بدعة الإرجاء؛ التي أعظم السلف والأئمة الكلام في أهلها، وقالوا فيها من المقالات الغليظة ما هو معروف [٢] .

وقال: ومتى حصل له هذا الإيمان وجب ضرورة أن يحصل له الإسلام الذي هو: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج؛ لأن إيمانه بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله؛ يقتضي الإستسلام لله، والانقياد له، وإلا فمن الممتنع أن يكون قد حصل له الإقرار والحب والإنقياد باطناً ولا يحصل ذلك في الظاهر مع القدرة عليه، كما يمتنع وجود الإرادة الجازمة مع القدرة بدون وجود المراد.

وبهذا تعرف أن من آمن قلبه إيماناً جازماً امتنع أن لا يتكلم بالشهادتين مع القدرة فعدم الشهادتين مع القدرة مستلزم إنتفاء الإيمان القلبي التام، وبهذا يظهر خطأ جهم ومن اتبعه في زعمهم أن مجرد إيمان بدون الإيمان الظاهر ينفع في الآخرة، فإن هذا ممتنع، إذ لا يحصل الإيمان التام في القلب إلا ويحصل في الظاهر موجبه بحسب القدرة، فإن من الممتنع أن يحب الإنسان غيره حباً جازماً وهو قادر على مواصلته ولا يحصل منه حركة ظاهرة إلى ذلك [٣] .

وقال: هذه المسألة (أي قتال من ترك الصلاة والزكاة) لها طرفان:

أحدهما: في إثبات الكفر الظاهر.

والثاني: في إثبات الكفر الباطن.

فأما الطرف الثاني فهو مبني على مسألة كون الإيمان قولاً وعملاً كما تقدم، ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمناً إيماناً ثابتاً في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤ / ٧٢، ٧٣ .

(٢) مجموع الفتاوى ٧ / ٤٠٩ .

(٣) مجموع الفتاوى ٧ / ٣٦٥ .

والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم من رمضان، ولا يؤدي لله زكاة، ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع، ولا يصدُر هذا إلا مع نفاق في القلب، وزندقة، لا مع إيمان صحيح [١] .

قال العلامة الألباني : هذا لَيَدل على أن الإيمان بدون عمل لا يفيد وأن العمل الصالح من الإيمان، فالله حينما يذكر الإيمان يذكره مقروناً بالعمل الصالح، لأننا لا نستطيع أن نتصور إيماناً بدون عمل صالح، إلا لإنسان نتخيله خيالاً، آمن من هنا، قال: أشهد أن لا إله إلا الله؛ محمد رسول الله ومات من هنا، هذا نستطيع تصوره، ولكن إنسان يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله يعيش دهراً مما شاء ولا يعمل صالحاً ؟ فعدم عمله الصالح هو دليل أنه يقولها بلسانه ولما يدخل الإيمان إلى قلبه [٢] .

وقال ابن تيمية: العمل الظاهر لازم للعمل الباطن لا ينفك عنه وإنتفاء الظاهر دليل إنتفاء الباطن [٣] .

يقول الفوزان: من كان يعتقد بقلبه ويُقر بلسانه ولكنه لا يعمل بجوارحه، عطَّل الأعمال كلها من غير عذر؛ هذا ليس بمؤمن [٤] .

ومن ذلك يتضح أن هذا الصنف لم يدخل الإيمان قلبه أصلاً، وإني لأعجب كل العجب ممن أخرجوا هذا الصنف من الإيمان، وصنَّفوا في ذلك كُتباً يدللون فيها على أن ترك العمل [٥] خروجٌ من الإيمان، رغم أنه لم يدخل الإيمان قلبه أصلاً، وما انتحى هؤلاء الكُتَّاب هذه الناحية إلا لعدم تفرقتهم بين هذا الصنف والذي قبله.

---

(١) مجموع الفتاوى ٧ / ٤٠٢ .

(٢) في شرح الادب المفرد الشريط السادس الوجه الأول، عند شرح حديث أبي ذر رضي الله عنه قيل : اي الاعمال خير ؟ ، قال إيمان بالله ... الحديث: نقلاً من: ما هكذا الحقيقة يا أبا رحيم ص ٨٥- ٨٦ .

(٣) مجموع الفتاوى ٧ / ٣٦٦ .

(٤) الإجابات المهمة في المشاكل الملمة ص ١٠٩ .

(٥) هكذا مطلقاً بغير قيد أو شرط.

الخامس: لم يعمل بقلبه، وعمل بجوارحه أعمالاً كاملة كماً وكيفاً:

وهذا القسم يستحيل وجوده شرعاً وعقلاً، لأنه لو عمل بجوارحه أعمالاً كاملة كماً وكيفاً، كان لا بد من وجود عمل القلب.

السادس: لم يعمل بقلبه، وعمل بجوارحه أعمالاً ناقصة كماً كاملة كيفاً:

وهذا القسم أيضاً يستحيل وجوده شرعاً وعقلاً، لأنه يمتنع أن يعمل أعمالاً تامة كيفاً بغير وجود عمل القلب.

السابع: لم يعمل بقلبه، وعمل بجوارحه أعمالاً ناقصة كماً وكيفاً:

وهذا القسم موجود وبكثرة، وهم المنافقون الذين يُظهِرون خلاف ما يبطنون، وأولئك في الدرك الأسفل من النار.

يقول ابن تيمية: فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين، وهذا لا يسمى قولاً إلا بالتقييد، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب هي من أعمال المنافقين التي لا يتقبلها الله [١].

وقال: فمجرد توجيه العضو من غير عمل القلب لا يفيد شيئاً [٢].

الثامن: لم يعمل بقلبه وجوارحه:

وهذا القسم هم الكفار على الحقيقة، وليسوا بمسلمين أصلاً.

وفي النهاية نصل إلى أن العاملين من أمة الإسلام ينقسمون إلى خمسة أقسام:

الأول: عمل بقلبه، وعمل بجوارحه أعمالاً كاملة كمًّا وكيفاً.

الثاني: عمل بقلبه، وعمل بجوارحه أعمالاً ناقصة كمًّا كاملة كيفاً.

الثالث: عمل بقلبه، وعمل بجوارحه أعمالاً ناقصةً كمًّا وكيفاً.

الرابع: عمل بقلبه، ولم يعمل بجوارحه لعجزه عن العمل.

---

(١) مجموع الفتاوى ٧ / ٣٣٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢ / ٢٦٨.

الخامس: لم يعمل بقلبه، وعمل بجوارحه أعمالاً ناقصة كمًّا وكيفاً.

ومن خلال هذا العرض؛ وهذا التفصيل، نصل إلى فصل الخطاب في أمر الجهنميين، وهم الذين يدخلون النار ثم يخرجون بالشفاعات وهم فريقين:

الأول: من استحق دخول النار من القسم الثاني، وهم من رجحت سيئاتهم على حسناتهم، والذين سيخرجون بشفاعة الشفعاء من الأنبياء، والملائكة، والمؤمنين، وآخرهم من لم يعمل خيراً قط؛ لضآلة ما معه من الأعمال الصالحة.

الثاني: هم القسم الثالث، وهم الذين سيخرجون بشفاعة أرحم الراحمين، وأنهم أناس لم يعملوا خيراً قط؛ لأنهم عملوا أعمالاً حابطة مردودة غير صالحة.

ولكن كلا الفريقين معهم عمل قلب في غاية الضعف، يثبت لهم به إيمان يخرجون به من النار، ويدخلون به الجنة. لأنه لن يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة كما في الحديث، فعن زيد بن يثيع قال: سألنا علياً بأي شيء بُعثتَ في الحجة ؟، قال: بُعثتُ بأربع: (أن لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النَّبي ﷺ عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا) [١].

لطيفة:

إن الله ليس كمثله شيء في ذاته وأفعاله وصفاته، فلما أذن للشفعاء أن يشفعوا وتكرَّم هو بشفاعته، اختص نفسه بشفاعة تدل أنه لطيف خبير، فإن تساوت الشفاعة اسماً وغاية، إلا أنها اختلفت جوهراً، فهم قد شفعوا بإذنه، وفيمن ارتضى بإظهار علامات الرضى عليهم، أما هو لم يأذن له غيره، ولم يدله على من شفع فيهم إلا علمه بالسر وأخفي.

---

(١) رواه الترمذى برقم ٣٠٩٢ وقال حسن صحيح، والنسائى فى السنن برقم ٢٩٥٨، وأحمد برقم ٥٩٤ ،وقال الأرنؤوط : صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير زيد بن أثيع والدارمى برقم ١٩١٩، وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح، وابن خزيمة برقم ٢٩٦٠، وقال الأعظمى: إسناده صحيح، والحاكم فى المستدرك برقم ٤٣٧٦ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى.

المبحث الرابع

الإيمان يزيد وينقص

وهذه المسألة، أعني مسألة زيادة الإيمان ونقصه، من أظهر المسائل التي يظهر فيها الاختلاف بين الفرق المختلفة، وهي المحك الذي عليه يفترق حقيقة قول أهل السُّنَّة والجماعة مع مخالفيهم في مسألة الإيمان، التي هي مسألة (الأسماء والأحكام) [١] ، لذا سنفرد تفصيلها في مطلبين.

(١) مسائل الإيمان يُعبِّر عنها العلماء بمسالة الاسماء والاحكام بمعنى اسم العبد فى الدنيا هل هو مؤمن، أم كافر، أم ناقص الإيمان ؟ وحكمه فى الآخرة، هل من أهل الجنة، أم من أهل النار، أم ممن يدخل النار ثم يخرج منها ويخلد فى الجنة ؟ انظر طريق الهجرتين ص ٣٦٥ ، لابن القيم.

المطلب الأول
الأدلة على زيادة ونقص الإيمان(١)

كل دليل يُستدل به على زيادة الإيمان؛ يُستدل به على إمكانية نقصه، لأنه إذا اعترفنا بالزيادة؛ فلابد من الاعتراف بضدها وهي النقصان، لأن ما كان قابلاً للزيادة؛ فهو بالاطراد قابلاً للنقص، كما يُستدل به على نقص الكفر بنفس القدر الذي زاد به الإيمان، وعكس هذا الكلام صحيح، بمعنى أن كل دليل يُستدل به على زيادة الكفر؛ يستدل به على إمكانية نقص الكفر،كما يُستدل به على نقص الإيمان بنفس القدر الذي زاد به الكفر (٢) ،ولقد نظمت هذه الأدلة حسب مصادرها في ثلاث مسائل هي :

المسألة الأولى: الأدلة من القرآن وتنقسم إلى:

أولاً : آيات تدل على زيادة الإيمان صراحة وهي :

[١] قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ﴾ [الأنفال : ٢] .

---

(١) هذا المطلب اقتبست معظمه من كتاب مسالة الإيمان دراسة تاصيلية ، للشيخ / على بن عبد العزيز بن على الشبل ص ٢٨– ٣٤ ، وهى نسخة تم تنزيلها من موقع صيد الفوائد .

(٢) يقول ابن تيمية: الإيمان والكفران متضادان: فكل ضدين فاحدهما يمنع الآخر تارة ويرفعه اخرى كالسواد والبياض [فإذا فُقد احدهما خلفه الآخر و] حصل موضعه ويرفعه إذا كان حاصلاً مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٧٧ . وما بين المعكوفين اضفته لان موضعه بياض فى الاصل، وبدونه يختل المعنى.

ويقول ابن القيم: ولا ريب ان الكفر يتفاوت، فكفر اغلظ من كفر، كما ان الإيمان يتفاوت، فإيمان افضل من ايمان، فكما أن المؤمنين ليسوا فى درجة واحدة بل هم درجات عند الله، فكذلك الكفار ليسوا فى طبقة واحدة ودرك واحد، بل النار دركات كما أن الجنة درجات طريق الهجرتين ص ٣٨٩ .

ويقول ابن تيمية: الكفار يتفاضلون فى الكفر كما يتفاضل اهل الإيمان فى الإيمان قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ [التوبة ٣٧]. فإذا كان فى الكفار من خف كفره بسبب نصرته ومعونته فإنه تنفعه شفاعته ، « اى النبى ﷺ » فى تخفيف العذاب عنه لا فى إسقاط العذاب بالكلية مجموع الفتاوى ١ / ١٢١ .

[٢] قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

[٣] قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) ﴾ [التوبة : ١٢٤ - ١٢٥] ، فالمؤمنون يزدادون إيمانًا بنزول القرآن ، والمنافقون يزدادون كفرًا ، ورجسًا وينقص إيمانهم إن كان بقي منه شيء قبل نزوله ! .

[٤] قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

[٥] قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) ﴾ [الفتح : ٤] .

[٦] قوله جل وعلا : ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر : ٣١] .

ثانيًا : آيات تدل على زيادة أفراد الإيمان من الأعمال ، وهي تدل دلالة قاطعة على زيادة أصلها وهو الإيمان ، ومن هذه الأمثلة :

[١] زيادة الخشوع في قوله تعالى : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴾ [الإسراء : ١٠٩] .

[٢] زيادة الهدى والهداية كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم : ٧٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد : ١٧] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف : ١٣] .

فما زاد شيء إلا نقص، بدليل كونه قبل الزيادة أنقص منه بعدها.

ثالثاً: آيات تدل على زيادة الكفر، وبالتالي تدل على نقص الإيمان لأنه مقابله، ومن الآيات الدالة على ذلك:

[١] قوله تعالى: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ .

[المائدة : ٦٤] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) ﴾ [المائدة : ٦٨] .

[٢] قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠) ﴾ [الإسراء : ٦٠] .

[٣] قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠) ﴾ [آل عمران : ٩٠] .

[٤] قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧) ﴾ [النساء : ١٣٧] .

[٥] قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ [التوبة : ٣٧] .

وكما يزيد الكفر حتى يسفُل إلى أدنى دركاته، فكذلك الإيمان يزيد حتى يبلغ أعلى درجاته.

رابعاً: آيات تدل على تفاضل أهل الإيمان مما يدل على تفاضلهم فيه، بكون بعضهم أفضل إيماناً من بعض، كما تدل على زيادة الإيمان ونقصانه.

[١] قوله سبحانه في تفاضل الأنبياء: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

[الإسراء :٥٥] .

وقال أيضًا : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وقوله : ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (٢١) ﴾ [الإسراء:٢١] .

[٢] وفاضل سبحانه بين الصحابة فقال :﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾ [الحديد : ١٠] .

[٣] وفاضل بين المجاهدين وغيرهم من القاعدين فقال : ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦) ﴾ [النساء:٩٥- ٩٦]،وقوله ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) ﴾ .

[التوبة : ٢٠] .

[٤] وفاضل بين درجات العلماء من أهل الإيمان بقوله :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) ﴾ .

[المجادلة :١١] .

[٥] ومايز سبحانه بين أهل الطاعة وأهل المعصية بقوله : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) ﴾ [الجاثية :٢١] .

[٦] وفي سورة الواقعة، ذكر أصحاب اليمين، ثم أصحاب الشمال، ثم السابقين.

وكل هذه المفاضلات للتمايز في زيادة الإيمان ونقصه،وكذا زيادة الكفر ونقصه.

المسألة الثانية : الأدلة من السنة :

[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينهب نُهبة ذات شرف ، يرفع الناس إليه فيها بأبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن »** وهذا لفظ مسلم [١] .

فنفي عنه كمال الإيمان بفعل هذه الكبائر، مما دل على نقص الإيمان بفعلها، وهكذا كل ما ورد من نفي كمال الإيمان تدل على زيادته، ومن ثمَّ نقصانه! ، ومنها ما عقده البخاري في صحيحه من كتاب الإيمان، باباً في تفاضل أهل الإيمان بالأعمال وذكر فيه :

[٢] حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **« إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، يقول الله من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون قد امتحشوا ، وعادوا حمماً ، فيلقون في نهر الحياة ؛ فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، أو قال حمية السيل - وقال النبي ﷺ - ألم تروا أنها تخرج صفراء ملتوية »** [٢] .

مما يدل على أنه أنقص المؤمنين إيماناً، ولو كان الإيمان لا يزيد، ولا ينقص، لاستحق أهله كلهم الجنة من أول وهلة، وبدرجات متساوية ! .

[٣] وعنه رضي الله عنه أيضاً أن النبي ﷺ قال : **« بينا أنا نائم ، رأيت الناس يُعرضون عليَّ وعليهم قُمُص ، منها ما يبلغ الثدى ، ومنها ما دون ذلك ، وعُرِض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا : فما أوَّلت ذلك يا رسول الله؟ ، قال : الدين »** [٣] متفق عليه .

---

(١) رواه مسلم برقم ٧٥ / ١٠٠ ، والبخارى برقم ٢٣٤٣ ، ٥٢٥٦ ، ٦٣٩٠ ، وابو داود برقم ٤٦٨٩ ، والنسائى برقم ٤٨٧٠ ، وأحمد برقم ١٠٢٢٠ ، والدارمى برقم ٢١٠٦ ، وابن حبان برقم ١٨٦ .

(٢) رواه البخارى برقم ٢٢ ، ٦١٩٢ ، ومسلم برقم ١٨٤ / ٣٠٤ ، وابن حبان برقم ٢٢٢ .

(٣) رواه البخارى برقم ٢٣ ، ٣٤٨٨ ، ٦٦٠٦ ، ومسلم برقم ١٥ / ٢٣٩٠ ، والترمذى برقم ٢٢٨٥ ، والنسائى برقم ٥٠١١ ، وأحمد برقم ١١٨٣٢ ، والدارمى برقم ٢١٥١ ، وابن حبان برقم ٦٨٩٠ .

ورؤيا الأنبياء حق، فدل على زيادة الإيمان في أقوام، ونقصانه في آخرين.

[٤] وعنه وعن ابن عمر وأبي هريرة ﷺ أن النَّبي ﷺ قال: « **ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الرجل الحازم من إحداكن**، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟، **قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل**، قلن: بلى؟ ، **قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم**، قلن: بلي ، **قال: فذلك من نقصان دينها** » وهذا لفظ البخاري [1] .

فهو وإن كان النقص ليس من فعلهن، لكن من صلى وصام كان أكمل إيماناً منهن بهذا الاعتبار لصلاته وصيامه، وتأمل ترجمة الباب الذي تحته الحديث عند مسلم، فقد قال: باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ، ككفر النعمة والحقوق [2] .

[٥] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن. ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** » [3] ،ويفسره ويبين مدلوله حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**) [4] فدل

---

(١) البخارى برقم ٢٨٩، ١٣٩٣ ،ومسلم برقم ١٣٢ / ٧٩ ، والترمذى برقم ٢٦١٣ ، وابن ماجة برقم ٤٠٠٣ ، وأحمد برقم ٥٣٤٣ ، وابن خزيمة برقم ١٠٠٠ ، وابن حبان برقم ٥٧٤٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ٥٧ .

(٣) رواه مسلم برقم ٨٠ / ٥٠ ، وابن حبان برقم ١٧٧ ، والطبرانى فى الكبير برقم ٩٧٨٤ ، والبيهقى فى الكبرى برقم ١٩٩٦٥ ، وفى شعب الإيمان برقم ٧٥٦٠ .

(٤) رواه مسلم برقم ٧٨ / ٤٩ ، وابو داود برقم ١١٤٠ ، وابن ماجة برقم ١٢٧٥ ، والنسائى برقم ٥٠٠٨ ، والترمذى برقم ٢١٧٢ ،وأحمد برقم ١١٠٨٨، وابن حبان برقم ٣٠٦ ، والبيهقى فى الكبرى برقم ٥٩٩٧ ، وفى شعب الإيمان برقم ٧٥٥٩ .

على أن الإيمان لا يزال يضعف بتخلف تلك المراتب وهو النقصان، وتحصيلها هو زيادته [١] .

[٦] عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: **(من أحب لله وأبغض لله، وأعطي لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان)** [٢] .

المسألة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم في زيادة الإيمان ونقصه:

وهي كثيرة جداً ضمَّنها الأئمة في مصنفاتهم في الإيمان فمن ذلك:

[١] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ربما يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: قم بنا نزدد إيماناً [٣] .

[٢] وكان معاذ رضي الله عنه يقول لرجل: اجلس بنا نؤمن ساعة [٤] . أي نزداد إيماناً، لم يعن أنه كان غير مؤمن قبلها!

[٣] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم: أيزداد هو أم ينقص؟ [٥]

[٤] وأما ابن مسعود رضي الله عنه فكان يقول في دعائه: (اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً) [٦] .

---

(١) إن شاء الله سيأتى مزيد بيان لهذه النقطة فى مبحث الترابط بين قوة الإيمان وضعفه وزيادته ونقصه بعد قليل.

(٢) رواه أبو داود برقم ٤٦٨١ ، والترمذى برقم ٢٥٢١ ، وقال: حديث حسن، وأحمد برقم ١٥٦٧٦ ، وقال الأرنؤط: إسناده حسن، والحاكم فى المستدرك برقم ٢٦٩٤ ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، والطبرانى فى الكبير برقم ٧٦١٣ ، والبيهقى فى شعب الإيمان برقم ٩٠٢١ ، وابن أبى شيبة فى مصنفه برقم ٣٠٤٣٧ ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٥٩٦٥ ، وفى السلسلة الصحيحة برقم ٣٨٠ .

(٣) مصنف ابن أبى شيبة ٦ / ١٦٤ برقم ٣٠٣٦٦ ، والكشاف للزمخشرى ١ / ٢٢٠ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٣٤٣ .

(٤) رواه البخارى فى كتاب الإيمان تحت باب قول النبى ﷺ «بنى الإسلام على خمس» الفتح ١ / ٥٨ ، وفى السُّنَّة لعبد الله بن أحمد برقم ٧٩٦ ، وفى مصنف ابن أبى شيبة برقم ٣٠٣٦٣ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٣٤٣ .

(٦) السُّنَّة ، لعبد الله بن أحمد برقم ٧٩٧ ، وفتح البارى ١ / ٦١ ، ومجموع الفتاوى ٧ / ١٥٣ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٣٤٣ .

[٥] وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه كان يأخذ بيد نفر من أصحابه فيقول: (تعالوا فلنؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله ولنزدد إيماناً، تعالوا نذكر الله بطاعته لعل الله يذكرنا بمغفرته) (١) .

[٦] وقال عمير بن حبيب الخطمي وغيره من الصحابة رضي الله عنهم: « الإيمان يزيد وينقص، فقيل له وما زيادته ونقصانه؟ فقال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه » (٢) .

وعنهم في الباب كثير، وعمَّن بعدهم أكثر.

ولقد عد اللالكائي أسماء عدد كبير من الصحابة والتابعين وتابعيهم والفقهاء كلهم يقول الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية (٣) .

ولذا نقل ابن عبد البر - في التمهيد - الإجماعَ على ذلك فقال . « أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية. والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان » اهـ(٤) .

والمقصود تكاثر القول عن الأوائل في تحقيق زيادة الإيمان ونقصانه وهي من الكثرة بمكان لا يتغافل عنها إلا جاهل.

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة برقم ٣٠٤٢٦ ، وشعب الإيمان للبيهقى برقم ٥٠ ، والزهد لابن المبارك برقم ١٣٩٥ ، وكشف الخفاء للعجلونى برقم ١١٥ ، ومجموع الفتاوى ٧ / ١٥٣ .

(٢) السُّنَّة ، لعبد الله بن أحمد برقم ٦٢٤ ،ومصنف ابن أبى شيبة برقم ٣٠٣٢٧ ،ومجموع الفتاوى ٧ / ٢٣٤ ، وقال ابن تيمية بعده: فهذه الألفاظ المأثورة عن جمهورهم ، العقيدة الأصفهانية ١٧٨ .

(٣) انظر شرح أصول الاعتقاد ٢ / ١١، ١٢ وما بعدها.

(٤) من التمهيد له ٩ / ٢٣٨ .

المطلب الثاني
إثبات زيادة ونقص الإيمان

اعلم أن الإيمان يزيد وينقص، وزيادته ونقصه كماً وكيفاً.

وزيادته كيفاً، تكون من وجهين:

الأول: منْ عَلِمَ أمراً من أمور الدين ومر بتلك المراحل - السابق بيانها في المبحث الثاني - من أولها إلى آخرها فقد استكمل الإيمان بهذا الأمر، وإن وقف عند مرحلة منها فنصيبه من الإيمان بهذا الأمر على قدر موضع هذه المرحلة [(١)]، فإن عَلِمَ ولم يصدّق لم ينتفع، فإن صدق ولم يتيقن لم ينتفع، فإن تيقن ولم يقبل لم ينتفع، وإن قبل ولم يحب لم ينتفع فالحب أول علامات انقياد القلب، فإن أحب المعروف وكره المنكر يصير معه أصل الإيمان، فإن لم يُقر بلسانه على ما استقر في قلبه فهو جاحد، فإن نطق بلسانه صار مسلماً حُكماً، وإن أقر بلسانه ولم يصدّق بقلبه كان منافقاً وعُصِم دمه، فإن عمل المباني الأربعة صار مسلماً حقاً وزاد إيمانه، وتطَّرِد الزيادة بالترقي في درجات كل مرحلة، ويزداد حتى يصل إلى نهاية الكمال بكمال العمل والإخلاص فيه.

والثاني: أنْ تعلم أن كل مرحلة من هذه المراحل يتفاضل الناس فيها أيما تفاضل، فالعلم مثلاً بدايته نفي الجهل ونهايته العالم الرباني، والتصديق بدايته زوال الشك، ويتدرج حتى يكون صاحبه صديقاً أي وصل إلى أعلى مراتب التصديق، وكذا اليقين فهناك علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين و المحبة أولها القبول وآخرها الخلة، وكذا الانقياد، ويبين الله مثالاً لزيادة كيفية الإيمان حين قال

---

(١) وذلك لانه لابد من وجود اصل كل مرحلة من هذه المراحل فى قلب العبد لكى توصله إلى التى تليها، وخصوصاً إذا علمت ان غالب هذه المراحل إما أن تكون من قول القلب او عمله، وكلاهما لازم لإثبات اسم الإيمان للعبد.

لإبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] (١)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)﴾ [التوبة: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

فإنه من المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن أن الناس يتفاضلون في حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه والتوكل عليه والإخلاص له وفي سلامة القلوب من الرياء والكبر والعجب ونحو ذلك، والرحمة للخلق والنصح لهم ونحو ذلك من الأخلاق الإيمانية، وفي الصحيحين عنه أنه قال: **(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار)** (٢) ... وقال رسول الله ﷺ: **(والله إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده)** (٣)، وقال: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)** (٤)، وقال له عمر رضي الله عنه: يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، قال ﷺ: **(لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك)**، قال: **فلأنت أحب إليَّ من نفسي**، قال:

---

(١) وروى اللالكائي بسند صحيح برقم ١٠٦٣، عن سعيد بن جبير قال في معنى الآية: « ليزداد إيماني » ثم قال: وكذلك فسره مالك بن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري بأرقام ١٦، ٢١، ٦٥٤٢، ومسلم برقم ٧٦ / ٤٣، والترمذي برقم ٢١٢٤، والنسائي برقم ٤٩٨٩، وأحمد برقم ١٢٠٢١، وابن حبان برقم ٢٣٨.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٧٧٦، وابن حبان برقم ٣١٧، والبيهقي في الكبرى برقم ١٣٢٢٦، وفي الشعب برقم ٥٤٧٧، ومالك في الموطأ برواية الليثي برقم ٦٤١، ومسند الشافعي بترتيب السندي برقم ٦٨٩.

(٤) رواه البخاري برقم ١٤، ١٥، ومسلم برقم ٧٠ / ٤٤، والنسائي برقم ٥٠١٣، ابن ماجة برقم ٦٧، وأحمد برقم ١٢٨٣٧، وابن حبان برقم ١٧٩.

(الآن يا عمر) [١] ، وهذه الأحاديث ونحوها في الصحاح وفيها بيان تفاضل الحب والخشية .... وهذا أمر يجده الإنسان في نفسه فإنه قد يكون الشيء الواحد يحبه تارة أكثر مما يحبه تارة، ويخافه تارة أكثر مما يخافه تارة .... ونفس العلم والتصديق يتفاضل ويتفاوت كما يتفاضل سائر صفات الحي من القدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، بل سائر الأعراض من الحركة والسواد والبياض ونحو ذلك [٢] .

أما زيادته كماً (وهي زيادة عامة) فتكون من وجهين أيضاً :

الأول: بأن يُضاف إلى ذلك الأمر أمر ثان، وثالث، وهكذا، حتى يستكمل عرى الإيمان كلها، وفي ذلك يقول الله : ﴿ **وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤)** ﴾ [التوبة : ١٢٤] ، ويقول : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ** ﴾ [الفتح : ٤] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الإنسان قد يكون مكذِّباً، ومنكراً لأمور لا يعلم أن الرسول أخبر بها، وأمر بها، ولو علم ذلك لم يُكذِّب ولم يُنكِر؛ بل قلبه جازم بأنه لا يُخبر إلا بصدق، ولا يأمر إلا بحق، ثم يسمع الآية، أو الحديث، أو يتدبر ذلك أو يُفَسَّرُ له معناه، أو يظهر له ذلك بوجه من الوجوه، فيُصدِّق بما كان مكذِّباً به، ويعرِف ما كان منكِراً وهذا تصديق جديد، وإيمان جديد، ازداد به إيمانه [٣] .

ولكن تنبه ، فليست كل الأمور متساوية في القدر ، فلا يستوي من علم لا إله إلا الله وعمل بها، مع من علم إماطة الأذى عن الطريق وعمل بها، رغم أن

(١) رواه البخاري برقم ٦٢٥٧ ، وأحمد برقم ١٨٩٨١ ، والطبراني في الأوسط برقم ٣١٧ ، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ١٣٨١ .

(٢) مجموع الفتاوى ٧ / ٣٧١- ٣٧٢ باختصار.

(٣) مجموع الفتاوى ٧ / ١٦١ .

كلاهما من الإيمان، ولكنها مراتب وكل أمر على قدره.

وذلك لقوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) ﴾ [التوبة : ١٩ - ٢٠] .

يقول ابن القيم - رحمه الله - : لما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة وكل شعبة منها تسمى إيماناً فالصلاة من الإيمان وكذلك الزكاة والحج والصيام والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب. (١) . (٢) .

---

(١) كتاب الصلاة وحكم تاركها ص ٣٤، ٣٥ .

(٢) وهذه الزيادة تختلف باختلاف الزمان والأشخاص فبالنسبة للزمان: فمثلاً في أول الإسلام كان من عمل بالأمور التي فُرضت رغم قلتها مؤمناً مستكمل الإيمان الواجب عليه، أما غيره ممن جاء بعده فعليه أن يعمل بما زاد من شرائع حتى يكون مستكمل الإيمان الواجب فإن اقتصر على ما آمن به الأول كان ناقص الإيمان الواجب، وبالنسبة للأشخاص: فإذا بلغ أحدهم بعض الشرائع فعمل بها فهو مؤمن مستكمل الإيمان الواجب، أما غيره ممن بلغه أكثر من ذلك ثم اقتصر على بعضها فهو ناقص الإيمان الواجب.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: في معرض رَدّه على المرجئة: ظنهم أن الإيمان الذي فرضه الله على العباد متماثل في حق العباد، وأن الإيمان الذي يجب على شخص يجب مثله على كل شخص، وليس الأمر كذلك، فإن أتباع الأنبياء المتقدمين أوجب الله عليهم من الإيمان ما لم يوجبه على أمة محمد، وأوجب على أمة محمد من الإيمان ما لم يوجبه على غيرهم، والإيمان الذي كان يجب قبل نزول جميع القرآن ليس هو مثل الإيمان الذي يجب بعد نزول القرآن، والإيمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به الرسول مفصلاً ليس مثل الإيمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به مجملاً، فإنه لابد في الإيمان من تصديق الرسول في كل ما أخبر، لكن من صدَّق الرسول ﷺ ومات عقب ذلك لم يجب عليه من الإيمان غير ذلك، وأما من بلغه القرآن والأحاديث وما فيهما من الأخبار والأوامر المفصَّلة فيجب عليه من التصديق المفصَّل بخبرٍ خبر، وأمرٍ أمر ما لا يجب على من لم يجب عليه إلا الإيمان المجمل لموته قبل أن يبلغه شيء آخر.

الثاني : عن طريق عمل الجوارح، فكلما عمل بجوارحه عملاً زاد في إيمانه، فعمل الجوارح سبب في زيادة ونقص ما هو موجود في القلب من المحبة وتوابعها، كما أن ما في القلب من المحبة وتوابعها أصل لما يظهر على الجوارح من أعمال.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: أعمال القلوب لا تتم إلا بأعمال الأبدان، كما أن الروح لا قوام لها إلا بالبدن، أعني ما دامت في الدنيا (١).

ويقول: كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضاً تأثير فيما في القلب، فكل منهما يؤثر في الآخر، لكن القلب هو الأصل، والبدن فرع له، والفرع يستمد من أصله، والأصل يثبت ويقوى بفرعه، كما في الشجرة التي

= و أيضاً لو قُدِّر انه عاش فلا يجب على كل واحد من العامة أن يعرف كل ما أمر به الرسول، وكل ما نهى عنه، وكل ما أخبر به، بل إنما عليه أن يعرف ما يجب عليه هو، وما يحرُم عليه، فمن لا مال له لا يجب عليه أن يعرف أمره المفصَّل في الزكاة، ومن لا استطاعة له على الحج ليس عليه أن يعرف أمره المفصَّل بالمناسك، ومن لم يتزوج ليس عليه أن يعرف ما وجب للزوجة، فصار يجب من الإيمان تصديقاً وعملاً على اشخاص ما لا يجب على آخرين.

وبهذا يظهر الجواب عن قولهم: خوطبوا بالإيمان قبل الأعمال، فنقول: إن قلتم: إنهم خوطبوا به قبل أن تجب تلك الأعمال، فقبل وجوبها لم تكن من الإيمان، وكانوا مؤمنين الإيمان الواجب عليهم قبل أن يُفرض عليهم ما خوطبوا بفرضه، فلما نزل إن لم يقروا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] ،ولهذا لم يجئ ذكر الحج في أكثر الأحاديث التي فيها ذكر الإسلام والإيمان كحديث وفد عبد القيس، وحديث الرجل النجدي الذي يقال له ضمام بن ثعلبة، وغيرهما، وإنما جاء ذكر الحج في حديث ابن عمر وجبريل، وذلك لأن الحج آخر ما فُرض من الخمس، فكان قبل فرضه لا يدخل في الإيمان والإسلام، فلما فُرض أدخله النبي ﷺ في الإيمان إذا أُفرد وأدخله في الإسلام إذا قُرن بالإيمان وإذا أُفرد وسنذكر إن شاء الله متى فرض الحج؟.

وكذلك قولهم من آمن ومات قبل وجوب العمل عليه مات مؤمناً فصحيح؛ لأنه أتى بالإيمان الواجب عليه، والعمل لم يكن وجب عليه بعد، فهذا مما يجب أن يُعرف فإنه تزول به شبهة حصلت للطائفتين.

فإذا قيل: الأعمال الواجبة من الإيمان، فالإيمان الواجب متنوع ليس شيئاً واحداً في حق جميع الناس، وأهل السُّنَّة والحديث يقولون جميع الأعمال الحسنة واجبها ومستحبها من الإيمان، أي من الإيمان الكامل بالمستحبات، ليست من الإيمان الواجب، ويُفرق بين الإيمان الواجب وبين الإيمان الكامل بالمستحبات، كما يقول الفقهاء الغسل ينقسم إلى مجزئ وكامل، فالمجزئ ما أتى فيه بالواجبات فقط، والكامل ما أتى فيه بالمستحبات، ولفظ الكمال قد يراد به الكمال الواجب، وقد يراد به الكمال المستحب. مجموع الفتاوى ٧ / ١٣٣-١٣٥ .

(١) مجموع الفتاوى ٢٦ / ١٨ .

يُضرب بها المثل لكلمة الإيمان، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ ﴾ .

[إبراهيم :٢٤ ـ ٢٥] .

وهي كلمة التوحيد، والشجرة كلما قوى أصلها وعرَّق ورُوى قويت فروعها، وفروعها ـ أيضاً ـ إذا اغتذت بالمطر والريح أثر ذلك في أصلها) [١] .

يقول العلامة الألباني: فليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح تَبعٌ [٢] .

ولم يستكمل الإيمان كماً وكيفاً إلا فئة قليلة هى أعز من الكبريت الأحمر على رأسهم الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وفي ذلك ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: « **كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام** » [٣] ، أما باقي الأمة فمُقل ومستكثر، وعلى قدر الاجتهاد في العلم والعمل والإخلاص فيهما على قدر الاقتراب من الكمال كمًّا وكيفاً.



(١) مجموع الفتاوى ٧ / ٣٥٨ .

(٢) وجوب الأخذ بحديث الآحاد فى العقيدة ص ٢٦ .

(٣) رواه البخارى برقم ٣٢٣٠، ٣٢٥٠، ٣٥٥٨، ٥١٠٢،ومسلم برقم ٧٠ / ٢٤٣١ ، وابن ماجة برقم ٣٢٨٠ ، والترمذى برقم ١٨٣٤ ، وأحمد برقم ١٩٥٤١ ، وابن حبان برقم ٧١١٤ ،والطبرانى فى الكبير برقم ١٠٦ ، والنسائى فى الكبرى برقم ٨٣٥٣ ، وابن أبى شيبة فى مصنفه برقم ٣٢٢٧٦ .

المطلب الثالث

أسباب زيادة الإيمان ونقصه

يقول ابن عثيمين : أسباب زيادة الإيمان أربعة:

الأول: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته؛ فإنه كلما ازداد الإنسان معرفة بالله وأسمائه وصفاته؛ ازداد إيمانه.

الثاني: النظر في آيات الله الكونية والشرعية: قال الله تعالى: ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)** ﴾ [الغاشية :١٧-٢٠] ، وقال تعالى: ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ (١٠١)** ﴾ . [يونس :١٠١] .

وكلما ازداد الإنسان علماً بما أودع الله تعالى في الكون من عجائب المخلوقات ومن الحكم البالغات؛ ازداد إيماناً بالله ، وكذلك النظر في آيات الله الشرعية يزيد الإنسان إيماناً بالله ، لأنك إذا نظرت إلى الآيات الشرعية وهي الأحكام التي جاءت بها الرسل؛ وجدت فيها ما يبهر العقول من الحكم البالغة والأسرار العظيمة التي تعرف بها أن الشريعة نزلت من عند الله، وأنها مبنية على العدل والرحمة، فتزداد بذلك إيماناً.

الثالث: كثرة الطاعات وإحسانها؛ لأن الأعمال داخلة في الإيمان، وإذا كانت داخلة فيه؛ لزم من ذلك أن يزيد بكثرتها.

الرابع: ترك المعصية تقرباً إلى الله فإن الإنسان يزداد بذلك إيماناً بالله .

أسباب نقص الإيمان أربعة:

الأول: الإعراض عن معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته.

الثاني: الإعراض عن النظر في الآيات الكونية والشرعية، فإن هذا يوجب الغفلة وقسوة القلب.

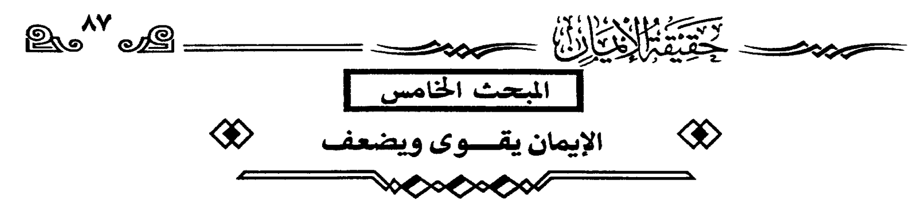
الثالث: قلة العمل الصالح ، ويدل لذلك قول النبي ﷺ في النساء: (**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**) قالوا: يا رسول الله ! ، كيف نقصان دينها ؟ ، قال: (**أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟**).

الرابع: فعل المعاصي لقوله تعالى: ﴿ **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [المطففين : ١٤] [١] .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ص ٥٦٧ - ٥٦٨ .





المبحث الخامس

الإيمان يقــوى ويضعف

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم** » (١) .

عن سعد رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ: أي الناس أشد بلاء ؟ ، قال: (**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة**) (٢) .

وضعفه ينشأ عن ضعف مراحله،وقوته تترتب على قوة مراحله،فعلم ضحل ركيك بأمر معين من أمور الدين،ينشأ عنه تصديق صفيق، فيقين ضعيف، يترتب عليه قبول هزيل ، وأصل محبة تكاد تظهر في القلب،فلا تبعث على انقياد،وإن كان فعلى مضض، وقد يُخلِص أو لا،وبذا يظهر ضعف الإيمان في هذا الأمر.

وعلم محيط صحيح بأمر معين، يؤدي إلى تصديق وثيق، يرتقي إلى يقين عميق، يورث قبولاً له القلب يستريح، فيمتلئ القلب حباً يدفعه إلى أكمل انقياد، يبرهن عليه بأصلح وأخلص الأعمال، يدلل على قوة الإيمان بهذا الأمر.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٥ . وقال هذا حديث لم يخرج في الصحيحين ورواته مصريون ثقات، وقال الذهبي: رواته ثقات، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٥٩٠ .

(٢) ابن حبان برقم ٢٩٢٠ ، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات، وفيه انقطاع، وأحمد برقم ١٥٥٥ ، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، والمستدك برقم ١٢٠ ، وقال: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين، صححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٩٩٢ ، وفي صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٤٠٢ .



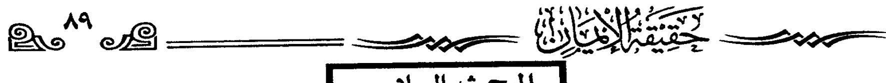
والضعف والقوة منه الخاص والعام :

فقد يكون المرء قوى الإيمان بأمر معين، وضعيف بأمر آخر، وهذه قوة خاصة، وضعف خاص، وبه يجتمع في الإنسان ضعف وقوة في إيمانه عموماً، ومن غلبت على إيمانه جوانب القوة حُكم له بقوة الإيمان عموماً، ومن غلبت عليه جوانب الضعف حُكم عليه بالضعف في إيمانه عموماً [١] .



---

(١) ومثاله كطالب فى سنة دراسية قد يكون متميزاً فى مادة، ضعيفاً فى أخرى، فتميزه خاص بمادة، وضعفه خاص بمادة، وإذا كانت مواد تميزه أكثر حُكم عليه بالتميز عموماً، وإن كانت مواد ضعفه أكثر حُكم عليه بالضعف عموماً، والمقصود به الضعف غير المفضى إلى الرسوب، فإن أفضى إلى رسوبه فلا يُعد ضعفاً وإنما هو فشل، ولتعرف الفرق بين الدرجتين تابع معى فى المبحث التالى.



المبحث السادس

العلاقة بين قوة الإيمان وزيادته وضعف الإيمان ونقصه

وهناك علاقة وطيدة وارتباط وثيق بين قوة الإيمان وزيادته، وضعف الإيمان ونقصه، ويتجلى هذا الارتباط ويزداد وضوحاً في مرحلتي المحبة والانقياد ويظهر ذلك جلياً من خلال ما ورد عن النَّبي ﷺ فقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**" (١).

ففي هذا الحديث يوضح النَّبي ﷺ أن قوة الإيمان تتجلى في الانقياد باطناً وظاهراً وذلك بأن يتحرك الإنسان بجوارحه لإنكار منكرٍ بعينه ولن يتأتى ذلك إلا إذا كان قلبه قد كره هذا المنكر كُرهاً شديداً، ثم يضعُف فيصير الإنكار باللسان، ثم يزداد ضعفاً فيصبح الإنكار بالقلب وذلك أضعف الإيمان (٢)، ومنه يُعلم أن أضعف درجات الإيمان انقياد القلب، وأقواها انفعال الجوارح وفي ضمنها اللسان وانقيادها مع انقياد القلب، وأوسطها الانقياد باللسان فقط مع القلب، وقد أثبت النَّبي إيماناً ضعيفاً لمن انقاد بقلبه فقط تجاه أمر معين رغم عدم وجود عمل ظاهر بجوارحه كلها حيال هذا الأمر، وفيه أعظم رد على من قال أن الإيمان يزول بزوال عمل من أعمال الجوارح فانتبه.

---

(١) رواه مسلم برقم ٧٨ / ٤٩ ، وأبو داود برقم ١١٤٠ ، وابن ماجة برقم ١٢٧٥ ، والنسائى برقم ٥٠٠٨ ، والترمذى برقم ٢١٧٢ ، وأحمد برقم ١١٠٨٨ ،وابن حبان برقم ٣٠٦ ،والبيهقى فى الكبرى برقم ٥٩٩٧ ، وفى شعب الإيمان برقم ٧٥٥٩ .

(٢) وانكار المنكر بالقلب يكون بتحقق شيئين:

(أ) بغض هذا المنكر .

(ب) ترك مكانه وقوله والبعد عنه،وهذا الإنكار فرض عين على كل مسلم علم هذا المنكر.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن. ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** »(١) .

وفي هذا الحديث يوضح النبي ﷺ أن أكمل إيمان الفرد بأمر معين يكون بأن ينقاد بقلبه وجوارحه كلها لإنكاره إن كان منكراً، ثم يتناقص حتى يصير باللسان دون باقي الجوارح، ثم يكون في أعظم مظاهر النقص عندما يُنكر المنكر بقلبه فقط، فإن زال انقياد القلب زال أصل إيمانه بهذا الأمر.

يقول ابن تيمية: فأضعف الإيمان الإنكار بالقلب فمن لم يكن في قلبه بغض المنكر الذي يبغضه الله ورسوله لم يكن معه من الإيمان شيء(٢) .

وقال: وإنكار القلب هو الإيمان بأن هذا منكر وكراهته لذلك، فإذا حَصَلَ هذا كان في القلب إيمان، وإذا فَقَد القلب معرفة هذا المعروف وإنكار هذا المنكر ارتفع هذا الإيمان من القلب(٣) .

---

(١) رواه مسلم برقم ٨٠ / ٥٠ ، وابن حبان برقم ١٧٧ ، والطبراني فى الكبير برقم ٩٧٨٤ ، والبيهقى فى الكبرى برقم ١٩٩٦٥ ، وفى شعب الإيمان برقم ٧٥٦٠ .

(٢) مجموع الفتاوى ٨ / ٢٢٩ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٠ ،ولا يعنى ذلك زوال الإيمان بالكلية ولكن يعنى زوال إيمانه بهذا الأمر فقط.

وفى ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: فإن مراده انه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل فى الإيمان حتى يفعله المؤمن بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان، ليس مراده أن من لم ينكر ذلك لم يكن معه من الإيمان حبة خردل، ولهذا قال ليس وراء ذلك، فجعل المؤمنين ثلاث طبقات، وكل منهم فعل الإيمان الذى يجب عليه، لكن الأول لما كان اقدرهم كان الذى يجب عليه أكمل مما يجب على الثانى، وكان ما يجب على الثانى اكمل مما يجب على الآخر، وعلم بذلك أن الناس يتفاضلون فى الإيمان الواجب عليهم بحسب إستطاعتهم مع بلوغ الخطاب إليهم كلهم. مجموع الفتاوى ٧ / ٢٨٥ .

ويقول الشيخ ياسر برهامي: ومعنى: ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل : أى فى عمله ذلك، اى من غيَّر المنكر بقلبه وهو قادر على أن يُغيّره بلسانه أو بيده فقد قصَّر وأثم، ولكن فعله هذا وهو التغيير بالقلب بكراهية المنكر وبُغضه له وتمنى زواله [يدل على أن قلبه] فيه شيء من الإيمان، أما من لم يكره المنكر بل ==

يقول الحافظ ابن حكمي بعد أن ساق جملة من الأحاديث في وجوب إنكار المنكر:

فدلت هذه الأحاديث كلها على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وأما إنكاره بالقلب فلابد منه فمن لم ينكر قلبه المنكر دل على ذهاب الإيمان من قلبه وقد رُوى عن أبي جحيفة قال: قال عليّ رضي الله عنه: (إن أول ما تُغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبه المعروف وينكر قلبه المنكر؛ نُكّس فجُعِل أعلاه أسفله) وسمع ابن مسعود رضي الله عنه رجلاً يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: (هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر)[1]، يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد، فمن لم يعرفه هلك، وأما الإنكار باللسان واليد فإنما يجب بحسب الطاقة، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (يوشك من عاش منكم أن يرى منكراً لا يستطيع له غير أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره)، وفي سُنن أبي داود عن العرس بن عميرة عن النَّبي ﷺ قال: (**إذا عُملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها، كان كمن شهدها**)[2] فمن شهد الخطيئة فكرهها في قلبه كان كمن لم يشهدها إذا عجز عن إنكارها بلسانه ويده، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقدر على إنكارها ولم ينكرها؛ لأن الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات، ويفوت به إنكار الخطيئة بالقلب؛ وهو فرض على كل مسلم، لا يسقط عن أحد في كل حال من الأحوال، وخرَّج ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: (**من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها،**

= رضى بوجوده وفرح بنيل شهوته وهواه من خلاله [فهذا يدل على ان قلبه] ليس فيه نحو هذا الفعل شيء من الإيمان، ولا يلزم [من ذلك] أن لا يكون فى قلبه شيء من الإيمان فى أمور أخرى كتصديق الله ورسوله ﷺ. والالتزام إجمالاً بالشرع وإن كان الالتزام التفصيلى غير موجود فى هذه المعصية. الامر بالمعروف، ص ١٦. وما بين المعكوفين أضفته ليتضح مقصود الكلام.

(١) مصنف ابن أبى شيبة برقم ٣٧٥٨١، وكنز العمال برقم ٨٤٦٥.

(٢) رواه البيهقى فى السُنن الكبرى برقم ١٤٣٢٨، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٦٨٩.

ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها) [١]، وهذا مثل الذي قبله فتبين بهذا أن الإنكار بالقلب فرض على كل مسلم في كل حال، وأما الإنكار باليد واللسان فبحسب القدرة [٢].

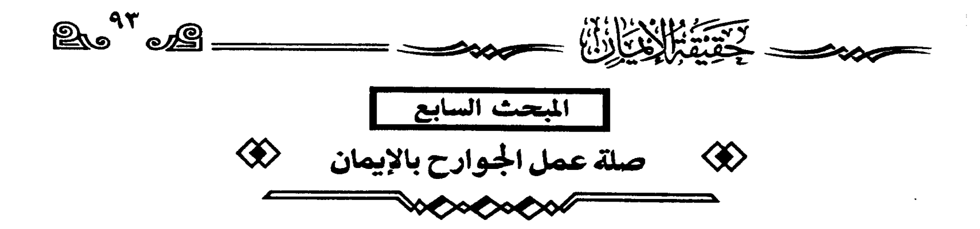
ويقول الشيخ أحمد فريد: فإنكار اليد واللسان بحسب القدرة والطاقة، وإنكار القلب حتمٌ، فإذا لم يُنكر القلب المنكر دل على ذهاب الإيمان منه[٣].

ومن هنا يظهر الترابط بين ضعف الإيمان ونقصه من ناحية ، وقوة الإيمان وكماله من ناحية أخرى، فنقص الإيمان مرتبط بضعفه وهو ثمرته، وزيادة الإيمان مترتبة على قوته وهي أيضاً ثمرته.

ويظهر أيضاً: أنه إذا زال عمل القلب زال الإيمان، وإذا وجد عمل القلب بغير عمل الجوارح في أمر معين دل على وجود إيمان ضعيف بهذا الأمر.

---

(١) رواه البيهقى فى السنن الكبرى برقم ١٤٣٣٠ ، وضعفه الألبانى فى الضعيفة برقم ٤٥٨٨ .
(٢) جامع العلوم والحكم ص ٣٥٩ .
(٣) التربية على منهج أهل السُنَّة والجماعة ص ٩٦ .



المبحث السابع

صلة عمل الجوارح بالإيمان

وبذا يتضح قول علماء أهل السُنَّة:

أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والعمل من الإيمان (١)، بعيداً عن تهوُّك المتهوكين، وتنطُّع المتنطعين، وسفسطة المتفلسفين، وتشدُّق

(١) «العمل من الإيمان» قطعة من حديث رواه الطبراني في الكبير برقم ٦٣ ، والبيهقي في شُعب الإيمان برقم ٧٧١١٠ ، وفي السنن الكبرى برقم ٢٠٥٩٧ ، والهيثمي في مجمع الزوائد برقم ١٢٧٠٧ ، وضعَّفه.
أقول: العمل بحديث ضعيف خير من الرأي، وخصوصاً إذا كان قد أجمع على معناه الصحابة، وقد نقل إجماعهم على أن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان الإمام الشافعي، راجع ما نقلته من كلام الإمام ابن رجب في نهاية المبحث الثاني.
ويقول الحافظ ابن حكمي: وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله تعالى إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً محدثاً ممن سُمي لنا سعيدٌ بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السختياني والنخعي والزهري وإبراهيم ويحيى بن أبي كثير والثوري و الأوزاعي وعمر بن عبد العزيز وغيرهم قال الثوري: هو رأي محدث أدركنا الناس على غيره، وقال الأوزاعي: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار أما بعد: فإن الإيمان فرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. من معارج القبول ٢ / ٦٠٠ .
ويحكي الإجماع أيضاً الأوزاعي وإن لم يصرح به حين قال: اصبر نفسك على السُنَّة، وقِفْ حيث وقَف القوم، وقل بما قالوا، وكُف عما كفوا عنه، واسلُك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم، ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية وموافقة للسُنَّة، وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان، والإيمان من العمل، وإنما الإيمان إسم جامع كما يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدقه العمل، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدقه بعمله لم يقبل منه؛ وكان في الآخرة من الخاسرين. رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ١ / ٣٣٩ ، برقم ١٠٩٧ ، وأبو نعيم في الحلية ٦ / ١٤٤ . أقول: ويعني هذا أن الحديث ضعيف السند صحيح المتن لتظاهر الأدلة على تأكيد معناه، ولعدم وجود ما يعارضه. ومما يؤكد معناه ما عقده البخاري باباً في صحيحة بعنوان باب من قال إن الإيمان هو العمل ، ثم أدرج تحته حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل: أي العمل أفضل ؟ فقال: « **إيمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟، قال: الجهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ ، قال: حج مبرور** » .

المتكلمين، ولكن بعمق فهم الأولين، ووسطية هذه الأمة وهذا الدين، فإن المتمعن المدقق فيما قالوا لوجد أنهم قالوا :(العمل من الإيمان) .

قال ابن تيمية: احتج أحمد على أن الأعمال من الإيمان بحجج كثيرة، فقال : . . ، ثم ذكر جملة من الآيات والأحاديث الدالة على أن الأعمال من الإيمان سبق ذكرها في طيات الكلام فلا داعي لإعادتها.

ثم قال: قلتُ : هذا الذي ذكره الإمام أحمد من أحسن ما احتج الناس به عليهم، جمع في ذلك جُملاً يقول غيره بعضها (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازاً، وإن لم يكن كل من ترك شيئاً من الأعمال كافراً، أو خارجاً عن أصل مسمى الإيمان (٢) .

وقال أيضاً: وأما أهل السُّنَّة والجماعة من : الصحابة جميعهم، والتابعين، وأئمة أهل السُّنَّة، وأهل الحديث، وجماهير الفقهاء، والصوفية، مثل : مالك، والثورى، والأوزاعى، وحماد بن زيد، والشافعى، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، ومحققي أهل الكلام، فاتفقوا على أن الإيمان والدين قول وعمل، هذا لفظ السلف من الصحابة، وغيرهم، وإن كان قد يعني بالإيمان في بعض المواضع ما يغاير العمل، لكن الأعمال الصالحة كلها تدخل أيضاً في مسمى الدين والإيمان، ويدخل في القول قول القلب واللسان وفي العمل عمل القلب والجوارح (٣) .

وقال أيضاً: إسم الإيمان يستعمل مطلقاً، ويستعمل مقيداً، وإذا استعمل مطلقاً فجميع ما يحبه الله ورسوله، من أقوال العبد، وأعماله الباطنة والظاهرة، يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف، والأئمة من الصحابة، والتابعين،

---

(١) مجموع الفتاوى ٧ / ٢٦٧ .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٧١ .
(٣) مجموع الفتاوى ١٢ / ٢٦٦ .

وتابعيهم، الذين يجعلون الإيمان قولاً وعملاً، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويُدخلون جميع الطاعات فرضها ونفلها في مسماه، وهذا مذهب الجماهير من أهل الحديث، والتصوف، والكلام، والفقة من أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم [١] .

أقول: كان شيخ الإسلام هو أيضاً يحكى إجماع السلف على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

قال ابن عثيمين: المرجئة لم أعلم أن أحداً أخرجهم من الإسلام، هم لا شك أنهم مخطئون، وأن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، كما يدل على ذلك نصوص كثيرة [٢] .

وقال أيضاً: ونحن نرد عليهم (أي المرجئة) فنقول: إخراجكم الأعمال من الإيمان ليس بصحيح؛ فإن الأعمال داخلة في الإيمان [٣] .

وقال الشيخ الفوزان: فالقول الحق أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، فالأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، وليست بشيء زائد عن الإيمان [٤].

ويقول أبو اسحق الحويني: فنحن نعتقد أن العمل جزء من الإيمان لا نقول شرط حتى نغلق الباب على الخوارج والمرجئة.... فالصواب أن العمل جزء من الإيمان [٥] .

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية الصلة الدقيقة بين الأعمال الصالحة والإيمان فيقول: لكن الأعمال الصالحة كلها تدخل أيضاً في مسمى الدين والإيمان،

(١) مجموع الفتاوى ٧ / ٤٢١ .

(٢) لقاءات الباب المفتوح ٢ / ٢٦٤ فتوى رقم ٩٨٠ ، وفتاوى العلماء حول الدعوة والجماعات الإسلامية ص ٢٦٥ .

(٣) شرح العقيدة الواسطية ص ٥٦٨ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥١ .

(٥) من شريط بعنوان: " تحت كل محنة بُشرى "، الوجه الثاني .

ويدخل في القول قول القلب واللسان وفي العمل عمل القلب والجوارح.

وقال المفسرون لمذهبهم: أن له أصولاً وفروعاً، وهو مشتمل على أركان، وواجبات ليست بأركان، ومستحبات [1] .

وينسج العلامة الألباني على نفس المنوال فيقول: (هذا لَيَدُل على أن الإيمان بدون عمل لا يفيد وأن العمل الصالح من الإيمان، فالله حينما يذكر الإيمان يذكره مقروناً بالعمل الصالح .... ثم قال: على كل حال فنحن نفرق بين الإيمان الذي هو مقره القلب، وهو كما أفادنا هذا الحديث من عمل القلب، وبين الأعمال التي هي من أعمال الجوارح، فأعمال الجوارح هي أجزاء مكملة للإيمان، ما هي أجزاء أصيلة من الإيمان، إنما كلما ازداد الإنسان عملاً صالحاً؛ كلما قوى هذا الإيمان الذي مقره القلب) [2] .

ويظهر جلياً من كل ما نقلناه أنه قد اتفقت كلمة السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من أهل العلم المعتبرين على أن عمل الجوارح جزء من داخل مسمى الإيمان وليس بخارج عنه، وما قالوا هو ركن من أركان الإيمان، ولا قالوا هو شرط فيه، كما يقول المتأخرون، وأن الأقوال بالركنية والشرطية أقوال محدثة، والتعلق بها هو سبب عدم الفهم الحادث لحقيقة الإيمان في الوقت الحاضر[3] ، ولكي نعرف أثر التمسك بهذه الألفاظ المحدثة، تعالى

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢ / ٢٦٦ .

(٢) فى شرح الأدب المفرد الشريط السادس الوجه الأول، عند شرح حديث أبى ذر قيل : أى الأعمال خير ؟ ، قال إيمان بالله ... الحديث : نقلاً من : ما هكذا الحقيقة يا أبا رحيم ص ٨٥– ٨٦ .

(٣) **يقول الشيخ الفوزان:** الإيمان قول وعمل واعتقاد، والعمل هو من الإيمان وهو الإيمان، وليس هو شرطاً من شروط صحة الإيمان أو شرط كمال أو غير ذلك من هذه الأقوال التى يروجونها الآن. الإجابات المهمة فى المشاكل الملمة ص ١٠٤– ١٠٥ .

قال الإمام الأوزاعي: اصبر نفسك على السُّنَّة ، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكُف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم شرح أصول الاعتقاد ١ / ١٤٧ برقم ٣١٥ ، والشريعة للآجرى ص ١٣٩ برقم ٣٢٨ أثر رقم ١٧١ ، وتلبيس إبليس ١١ . وصدق من قال: كل خير فى اتباع من سلف، وكل شر فى ابتداع من خلف.

معى لنطبق تعريف الركن والشرط على عمل الجوارح، وما سيترتب على ذلك من منكرات لا يعلم مدى خطرها إلا الله ، وأثر التمسك بقول السلف : أن العمل جزء من مسمى الإيمان، وما يترتب عليه من اتفاق مع منهج السلف، في وسطية الفهم، ومثالية التطبيق.

أولاً: تعريف الركــــن :

قال ابن الصلاح : رُكن الشيء عند الغزالي وعند غيره (ما تركبت حقيقة الشيء منه ومن غيره) ثم قال في تعريف الركن: **فأقول والله الموفق : إن ركن** الشيء فيما نحن بصدده (عبارة عما لا بد لذلك الشيء منه في وجود صورته عقلاً) [١] .

فالركن جزء من حقيقة الشيء، ولكي يوجد هذا الشيء لابد من وجود الركن، فإن زال الركن زال ذلك الشيء بزواله، ومثاله: الركوع والسجود في الصلاة.

أقـول، ولكن انتـبـه: فأي شيء يتكون من أركان وغيرها مما ليس بركن ولكنها من لوازم هذا الشيء التي لا يتم ويكمل أصله إلا بها [٢] .

ثانياً: تعريف الشرط:

قال الشاطبي: (المراد بالشرط ما كان وصفاً مكملاً لمشروطه فيما اقتضاه ذلك المشروط، أو فيما اقتضاه الحكم فيه) [٣] ... ثم قال: (فإنما هو وصف من أوصاف ذلك المشروط، ويلزم من ذلك أن يكون مغايراً له بحيث يُعقل المشروط مع الغفلة عن الشرط، وإن لم ينعكس كسائر الأوصاف مع موصوفاتها حقيقة أو اعتباراً) [٤] .

---

(١) أدب المفتي والمستفتي ١ / ٢٦٩ .

(٢) راجع تعريف الركن ودقق فيه جيداً.

(٣) الموافقات ١ / ٢١٣ .

(٤) الموافقات ١ / ٢١٥، ٢١٦ .

أنواع الشرط:

قال الخضري: ما جعله الشارع شرطاً: لا يكون المشروط إلا بوجوده، وهو شرط الصحة، أو لا يكون كاملاً إلا بوجوده، وهو شرط الكمال) (١) .

أقول: فالشرط هو وصف من أوصاف الشيء الخارجة عنه، والتي يُعقل وجود هذا الشيء بدونها، **والشرط الشرعي نوعان:**

شرط صحة: وهو ما يبطل العمل بغيابه مثل الوضوء للصلاة.

شرط كمال: وهو ما ينقص أجر العمل بغيابه مثل عدم تسوية الصف في الصلاة.

انتبه: فشرط الكمال لا يُكمِّل أصل العمل ولكنه يُكمِّل الأجر المتحصَّل منه، فمن عمل عملاً فُقِدَ فيه شرط الكمال فعمله صحيح كامل في ذاته، ولكنه ناقص في الأجر، فإنْ أتى بشرط الكمال زيد له في الأجر، ومثاله تسوية الصف في الصلاة، فمن لم يسوِ الصف أجره ناقص، أما صلاته فكاملة وصحيحة، ومن سوى الصف فصلاته صحيحة وأجره أتم وأكمل.

فمن قال: إن عمل الجوارح ركن من أركان الإيمان (٢) ؛ لزمه خمسة أمور سواء أقر أم رفض:

الأول: أن يقول أن من ترك العمل فهو كافر، لأن من ترك ركن من أركان أي عمل فسد هذا العمل، فمن ترك الركوع أو السجود بطلت صلاته؛ لأن كليهما

---

(١) أصول الفقه ص ٦١ .

(٢) إنما قالوا ذلك تأسيساً على قاعدة التلازم بين الظاهر والباطن ، وذلك لما قررناه في القاعدة الرابعة عند الكلام عن أقسام المكلفين ، وبخاصة في الصنف الذين لم يعملوا بجوارحهم مع القدرة والعلم بغير عذر من أنهم لم يدخلوا في الإيمان ، فقالوا : « حيثما انتفى الإيمان انتفى عمل الجوارح فعمل الجوارح ركن فيه ، لأن الإيمان لا ينتفي إلا بانتفاء أحد أركانه » ، ولكنهم لو أمعنوا النظر قليلاً لوجدوا أنه لم ينتف الإيمان عنهم بانتفاء عمل الجوارح ، ولكنه انتفى بانتفاء عمل القلب الذي دل عليه انتفاء عمل الجوارح ، والذي يجلِّي لهم الأمر أن الصنف الذي قبله انتفى في حقه عمل الجوارح ورغم ذلك ثبت له إيمان لما معه من عمل القلب ، وبذا يزول الإشكال ويستقر في النفوس أن عمل الجوارح من الإيمان وليس بركن ، أما عمل القلب فهو ركن فيه إن تجاوزنا وسوغنا استخدام هذه الاصطلاحات الحادثة . وحاول أن تقرأ كلام شيخ ابن تيمية وكذا كلام حسنة زماننا الشيخ الألباني الوارد ص ٩٥ ، ٩٦ ، وكذا تعريف الركن والتنبيه الذي بعده ص٩٧، بعيني قلبك قبل عيني رأسك ، فسيرسخ لديك ما قررناه .

ركن فيها.

الثاني: ألا يعذر بالجهل لأنه لو عذر بالجهل فلن يُكفِّر أحداً، وهذان من معتقدات الخوارج.

الثالث: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه إما مؤمن وإما كافر، فليس هناك ناقص إيمان، وهذا من معتقدات المرجئة.

الرابع: أن يقسِّم الناس إلى ثلاثة أقسام: رجلٍ بلا معصية فهو مؤمن، ورجلٍ له معاصٍ ظاهرة وليس له عذر فهو كافر، وثالثٍ مستور الحال فهو في محل شك إلى أن يُختبر ثم يُلحق بأحد الفريقين المتقدمين، وهذا من معتقدات المعتزلة.

الخامس: بما سبق يجتمع فيه شر ثلاث طوائف، الخوارج والمعتزلة ويُقِره على ذلك واقع حاله وإن لم يقر بلسانه، والمرجئة وإن تبرأ من الإرجاء واتهم به غيره، فهو خارجي معتزلي مرجيء، وإن أقسم بأغلظ الأيمان أنه خلاف ذلك.

ومن قال إن عمل الجوارح شرط، لزمه أن يحدد، هل هو شرط صحة، أم شرط كمال ؟

فإن قال شرط صحة لزمه ثلاثة أمور:

الأول: أن يُخرِج عمل الجوارح من الإيمان لأنها شرط كما يدَّعي، والشرط هو ما كان خارج عن الشيء.

الثاني: يلزمه ما لزم من قال بركنية العمل من فساد الأمر، لأن شرط الصحه والركن قريبان جداً في الأثر، كمن ترك الوضوء فصلاته باطلة، فلزمه بذلك أن يكفِّر تارك عمل الجوارح.

الثالث: يلزمه إخراج عمل الجوارح من الإيمان وهذا ما ذهبت إليه المرجئة، كما يلزمه أن يكفِّر تاركها وهذا ما ذهبت إليه الخوارج، فاجتمع فيه شر الطائفتين، فهو خارجي مرجيء.

وإن قال: شرط كمال لزمه ثلاثة أمور أيضاً:

الأول: بقوله (شرط) أن يُخرِج عمل الجوارح من الإيمان؛ لأن الشرط ـ كما سبق ـ لابد وأن يكون خارج الشيء، وبذلك يلزمه قول المرجئة سواء أقر أم رفض [١].

الثاني: بقوله (كمال) إن ظن أنه كمال ذات الشيء وقع في التناقض لأن الشيء كامل الذات بدونه [٢]، وإن قصد كمال الأجر، وصل إلى نفس قول المرجئة من أن العمل ليس من الإيمان.

الثالث: وأيضاً: ما قالها إلا ليحترز مما وقعت فيه المرجئة المحضة، ويتوافق مع مذهب أهل السُّنَّة في أن العمل من الإيمان من جهة، ومن جهة أخرى ليتسنى له القول بزيادة ونقص الإيمان [٣]، وبذلك يقع فيما وقع فيه مرجئة الفقهاء [٤].

فالقول الفصل في المسألة أن عمل الجوارح من الإيمان **(أي من ذات مسمى الإيمان وليس بخارج عنه، وليس بركن)، وإنما هو من اللوازم المتممة للأركان، أما عمل القلب فبزواله يزول الإيمان بالكلية، كما يزول بزوال قول القلب.**

---

(١) قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وقد سئل عمن يقول: إن العمل داخل فى الإيمان لكنه شرط كماله فأجاب: لا، لا، ما هو بشرط كمال هو جزء من الإيمان، هذا قول المرجئة ا. هـ من مجلة المشكاه العدد الثانى ص ٢٩٧ . نقلاً من كتاب رفع اللائمة ص ٥٢ .

(٢) يقول الشيخ الفوزان ـ حفظه الله ـ : وقوله إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ثم يقول: إن العمل شرط فى كمال الإيمان وفى صحته، هذا تناقض !! كيف يكون العمل من الإيمان ثم يقول: العمل شرط؟ ومعلوم أن الشرط يكون خارج المشروط، فهذا تناقض. الإجابات المهمة فى المشاكل الملمة ص ١٠٤ .

(٣) يقول الشيخ الفوزان ـ حفظه الله ـ فيمن قال أن أعمال الجوارح شرط كمال فى الإيمان: هذا يريد أن يجمع بين قول السلف وقول المتاخرين وهو لا يفهم التناقض، لأنه لا يعرف قول السلف ولا يعرف حقيقة قول المتاخرين، فأراد أن يدمج بينهما. السابق ص ١٠٤ .

(٤) **أقول** : اعلم أن أهل السُّنَّة والجماعة لا يحاكمون أحداً ولا يحكمون عليه من خلال لوازم قوله، لأن لازم القول ليس بلازم إن كان قائله لم ينتبه للوازم قوله أولم يقصدها، فإن كان منتبهاً إليها قاصداً لها فمحاكمته والحكم عليه من خلالها صحيح،ولما استبان أن لوازم هذه الأقوال ستفضى إلى هذه الكوارث فالأولى تركها إلى قول صحيح فى ذاته صحيحة لوازمه، وهو ما أثبتُّهُ فى أول هذا المبحث من أن عمل الجوارح جزء من مسمى الإيمان .

ومن الأمثلة التي توضح علاقة عمل الجوارح بالإيمان تركيب جسد الإنسان :

- فالجذع يمثل العلم والتصديق واليقين وهي تمثل قول القلب كما سبق بيانه.
- والدماغ تمثل القبول والمحبة وما يتبعها من أعمال القلوب، وهو انقياد القلب، وهي تمثل عمل القلب، وكذا قول اللسان ، وهذه والتي تسبقها هما أصل الإيمان وأُسّه وأساسه فإن زال منها شيء زال الإيمان حتماً.
- والأطراف تمثل انقياد الجوارح أي عمل الجوارح. وهذه من متممات الإيمان ولوازمه ليست بخارجة عنه، ولكنها تقدح فيه بالنقص أو الزوال بحسب العمل المتروك.

فلو قُطِع طرف من الإنسان لما زال عنه اسم الإنسان، ولكنه أصبح إنساناً ناقصاً، لكن لو نزعنا أحشاءه فلن يعيش، وكذا لو قطعنا دماغه.

قال أبو حامد الغزالي : وقد اشتهر عن السلف قولهم : الإيمان عقد وقول وعمل فما معناه ؟ قلنا . لا يبعد أن يُعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنساناً بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد [١] .

وقال الدكتور/ عمر الأشقر: وذهب أهل السُّنَّة والجماعة إلى أن الإيمان أصولٌ وفروعٌ، وأنه لا يزول إلا بزوال أصله، وأن زوال فرعه بارتكاب المحذورات وترك الواجبات يُنقص الإيمان ويشوهه، ولكنه لا يُزيله ويُذهبه.

فالإيمان كالإنسان قد لا تزول منه الحياة إذا نقص منه عضو كاليد أو الرجل أو العين أو الأذن، فإذا خُلع قلبه أو قُطع رأسه زالت منه الحياة، ولذلك قالوا في من ارتكب الكبائر من المؤمنين هومؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته [٢] .

وقال أيضاً في رده على الخوارج: أما استدلالهم بان الأعمال داخلة في

---

(١) الإحياء ١ / ١٨٥ .
(٢) أهل السُّنَّة والجماعة ص ٤٨، ٤٩ .

مسمى الإيمان فلا ننكر عليهم ذلك، ولكن خطأهم أنهم عدوها شرطاً في الإيمان، والصحيح أنها ليست كذلك، فزوالها ينافي كمال الإيمان الواجب، أي إذا زالت زال من الإيمان جزء، وبقي ناقصاً، ومثل ذلك مثل الإنسان تُقطع يده أو رجله أو تُقلع عينه، أو أذنه، ويبقى مع ذلك إنساناً تتردد فيه الحياة، فإذا قُطع وسطه أو رأسه أو قُلع قلبه كان كمن زال الإيمان منه، فزوال اليد أو الرجل أو العين تشبه زوال بعض الأعمال الواجبة أو فعل الأمور المحرمة، وزوال الرأس أو القلب يشبه زوال العقيدة [١] .

ومن أعظم الأمثلة التي تُبيِّن أيضاً: أن أعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان، وليست ركناً فيه، ولا شرطاً من شروطه؛ الشجرة التي ضربها الله مثلاً للإيمان، فهي أكثر مطابقة لحقيقة الإيمان من جسد الإنسان، فتفكَّر فيها فلن تصل إلا إلى نفس النتيجة.

يقول الأشقر: مثل الإيمان كشجرة طيبة ضاربة بجذورها في الأرض الطيبة، وباسقة بسوقها في السماء، مزهرة مثمرة مِعْطاءة، تعطى أُكلها كل حين بإذن ربها، فالإيمان هو الشجرة، وجذورها العقيدة التي تغلغلت في قلب صاحبها، والسوق والفروع والثمار هي العمل.

ولا شك أن الجذور إذا خُلعت أو تعفَّنت فسدت الشجرة، ويبست، ولم يبق لها وجود، وكذلك الإيمان لا يبقى له وجود إذا زالت العقيدة، أما إذا قُطعت الساق والفروع، أو قُطع بعض منها فإن الشجرة تضعف وتهزل، وقد تموت كلياً، لأن وجود الفروع والأوراق ضروري كي تحافظ الشجرة على بقائها، وكذلك الأعمال إذا تُركت أو تُرك جزء منها، فإن الإيمان ينقص أو يزول [٢] .

ولمزيد إيضاح أقول: مثل الإيمان مثل الشجرة فجذرها يمثل قول القلب، وساقها يمثل عمل القلب وفروعها تمثل قول اللسان، وأوراقها وأزهارها وثمارها

---

(١) العقيدة فى الله ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق .

تمثل عمل الجوارح، فإذا تعفَّن الجذر، أو عطب الساق ماتت الشجرة لا محالة، وإن تساقطت أوراق الشجرة وجفت فروعها من تلقاء نفسها دل ذلك على موت الجذر أو الساق أو ضعف أحدهما ضعفاً شديداً يُسلم إلى الموت، أما إن أُزيلت عن الشجرة فروعها فإنها ما تلبث أن تنشئ أفرعاً جديدة تتناسب طردياً مع قوة الشجرة وضعفها، وإن أُزيلت الساق إلا جزءاً يسيراً منه فإنه ما يلبث أن يُنشئ أفرعاً ضعيفة ما تلبث أن تقوى ويقوى معها الساق، أما إن اجتث الساق تماماً فإن الشجرة لا يبقي لها قرار، وصدق ربي فإن أصدق القول قول ربي إذ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦)﴾ .

[إبراهيم :٢٤ - ٢٦] .

وبهذا نرد على طائفتين كلتاهما تنتسب إلى أهل السُنَّة والجماعة في الوقت الحاضر:

الأولى: قالت: طالما أن العمل ركن من أركان الإيمان؛ فمن ترك العمل وبخاصة في المباني الأربعة فقد كَفَرَ كفراً يخرجه من الملة، وهؤلاء يُسمَوْن بالقطبيين، ويؤخذ عليهم قصر نظرهم، وضيق نظرتهم ودخول شُبهة الخوارج عليهم في تكفير مرتكب الكبيرة، وشُبهة المعتزلة في تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام، وذلك لأنهم لم يفرقوا بين عمل القلب وعمل الجوارح؛ وجعلوهما أمراً واحداً لا ينفك عن بعضه؛ وعدم فهمهم لحقيقة الإيمان المركَّبة .

الثانية: هربت مما وقعت فيه الأولى؛ فاخرجت عمل الجوارح من الإيمان، حتى لا تُكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب لم يستحله، فاتُّهموا بأنهم دخلت عليهم شبهة الإرجاء، ولكنهم في حقيقة الأمر متأولون، ولم يُوفَّقوا إلى الصواب، ووقعوا فيما كانوا يحذرون، ولذلك يُطلق عليهم مرجئة الفقهاء.





الخَاتِمَةُ





الخاتمة

أسأل الله حُسنها، وبعد فهذا خلاصة ما فُطرتُ عليه، وما أدين لله به، وما أرجوه من الله ألا يقبضني إليه إلا وأنا ثابت على هذا المعتقد،ولو عُرض ما سطرتُ في هذه الرسالة على ذي فطرة سليمة ما تلقاه إلا بالقبول وما أظنه سيأباه.

وبهذا الفهم يلتئم الجُرح ويُوحَّد الصف، ويتفق المنهج مع منهج السلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن عمل الجوارح من الإيمان،ونخرج من شبهتين عظيمتين ألا وهما التكفير والإرجاء ، وأي واحدة منهما كافية لانهيار هذا الدين، فما بالكم إذا اجتمعتا، وما بالكم إذا قدحت كل طائفة في أنصار الأخرى، فعند استحكام الداء، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، لا أملك إلا أن أقول ما قاله رب البرية ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) ﴾ [المؤمنون : ٥٣-٥٤] .

ها قد حققت لك الأمر، وبينت لك ما خفي عليك، فهلا تعهدت إيمانك من حيث زيادته، ونقصه، وقوته، وضعفه.

وبعد أسالك الآن أتذكُر ما قطب رحى الإيمان وأساسه أم نسيت؟ سأذكِّرُك به مرة أخرى وأقول لك إنه (العلم) .

واذكر ما قاله ابن القيم إذ يقول: العلم من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، ولا تقوم شجرة الإيمان إلا على ساق العلم والمعرفة، فالعلم إذاً أجل المطالب وأسنى المواهب [١] .

---

(١) مفتاح دار السعادة (١ / ١١٧).

والمقصود بالعلم كما يقول ابن القيم: وهو ما جاء به الرسول ﷺ عن الله عز وجل،قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ٦١] ، وقال: ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ [البقرة : ١٢٠] ، وقال في القرآن ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء : ١٦٦] ، أي وفيه علمه .

ولما بَعُدَ العهد بهذا العلم آل الأمر بكثير من الناس إلى أن اتخذوا هواجس الأفكار وسوانح الخواطر والآراء علماً ، ووضعوا فيها الكتب وأنفقوا فيها الأنفاس فضيعوا فيها الزمان وملأوا بها الصحف مداداً والقلوب سواداً حتى صرح كثير منهم أنه ليس في القرآن والسُّنَّة علم وأن أدلتها لفظية لا تفيد يقيناً ولا علماً وصرخ الشيطان بهذه الكلمة فيهم وأذَّن بها بين أظهرهم حتى أسمعها دانيهم لقاصيهم فانسلخت بها القلوب من العلم والإيمان كانسلاخ الحية من قشرها والثوب عن لابسه"

ثم قال: وقد كان علم الصحابة الذي يتذاكرون فيه غير علوم هؤلاء المختلفين الخرَّاصين كما حكى الحاكم في ترجمة أبي عبد الله البخاري قال: "كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا إنما يتذاكرون كتاب ربهم وسُنَّة نبيهم ليس بينهم رأي ولا قياس" ولقد أحسن القائل:

العلم قال الله قال رسوله	قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة	بين الرسول وبين رأى فقيه
كلا ولا جحد الصفات ونفيها	حذراً من التمثيل والتشبيه [1]

فهذا ما خط بناني، وعقدتُ عليه قلبي وجناني ، وخالط لحمي ودمي وعظامي، وحرك أركاني، لكم منه غنمه وعليَّ غُرمه، وإني سائلٌ الله أن يجعله خالصاً لوجهه؛ فإني ما سطرته إلا لأُرضيه؛ ولأُعبِّد العالمين له على منهاج النبوة،

(١) الفوائد ص (١٤٣- ١٤٥) باختصار.

وبفهم سلف الأمة، فإن كان ما سطرتُ يوافق ما قصدتُ فله الحمد والشكر كما يحب ويرضى على ما وفَّق ومنَّ وهدى ، وإن كان غيره فأسأله مراراً وتكراراً أن يغفره لي؛ فإنه واسع المغفرة، جزيل العطاء، كان ومازال، وسيبقى للمستغفرين غفاراً.

وسائلٌ أخاً كريماً نظر فيه فانتفع منه بقليل منفعة؛ ألا ينساني من دعوة بظهر الغيب تنفعني وإياه يوم الوقوف بين يدي مولاي ومولاه.

وأخاً وجد عيباً أن يُصلِح ولا يجرح، وأن يلتمس عذراً بل أعذاراً قبل أن يشمت أو يفضح، وإني والله قابل للنصح فمرحى بمن في الله ينصح.

وأخيراً:

(اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك أنت تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم).

كتبـــه

أبو عبد الرحمن

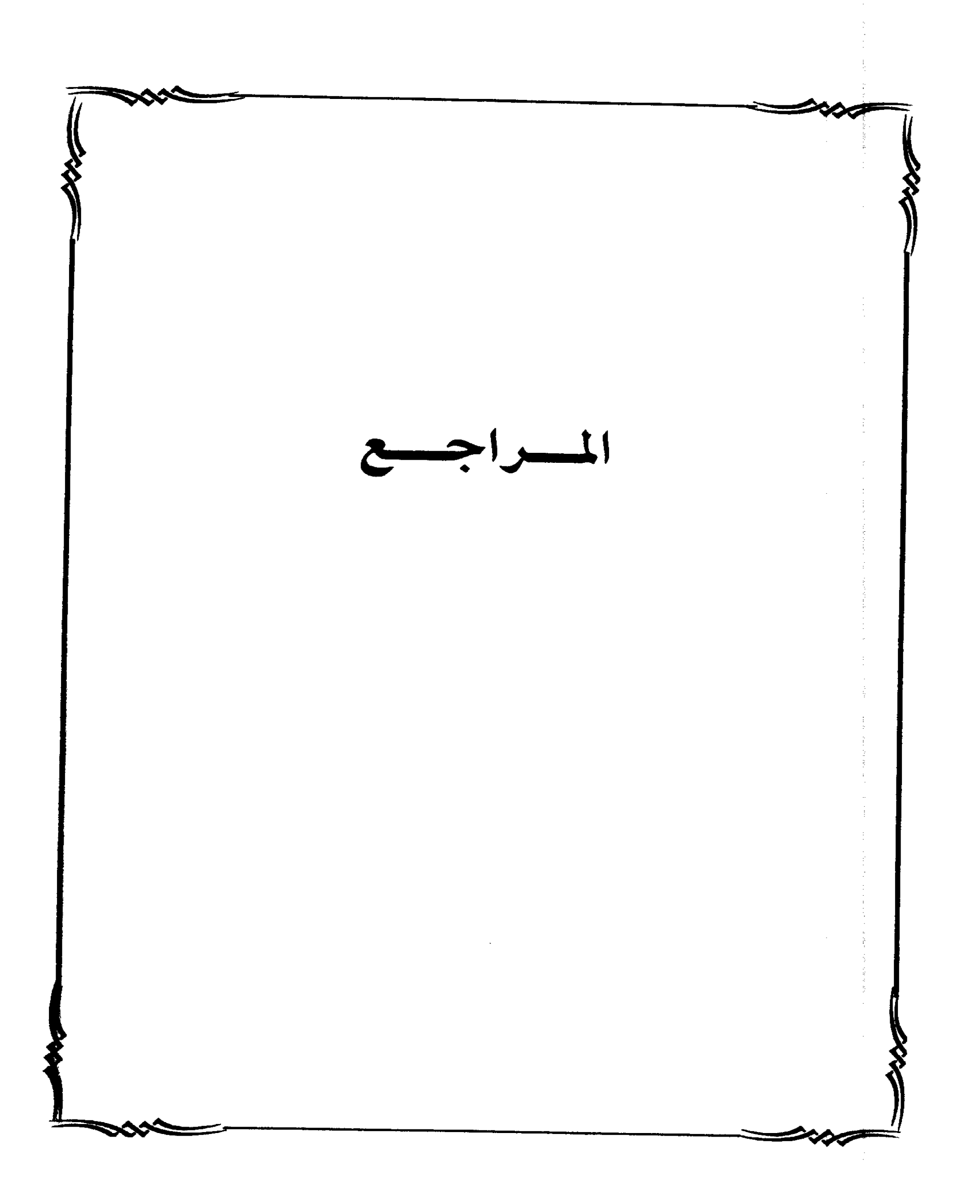
سعد سعيد أحمد عبده

E.Mail: SaadSaeid@yhoo.com

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

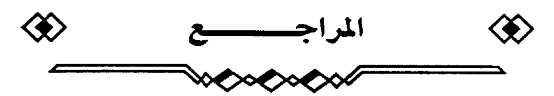






المـراجـع

المراجـــــع



[١] الإجابات المهمة في المشاكل الملمة ـ للشيخ/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، إعداد وجمع / محمد بن فهد الحصين ـ الطبعة الثانية ـ الرياض ـ ١٤٢٥ هـ .

[٢] الأصول في علم الأصول ـ للشيخ/ ابن عثيمين ـ طبعة دارالإيمان الإسكندرية ـ مصر، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[٣] الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام ـ للشيخ / محمد أحمد إسماعيل المقدَم ـ طبعة دار طيبه ، ومكتبة الكوثر بالرياض، السعودية ـ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

[٤] التبيان في أقسام القرآن ، للإمام / ابن القيم ـ طبعة دار الفكر ، بيروت .

[٥] التربية على منهج أهل السُّنَّة والجماعة ـ للشيخ/ أحمد فريد ـ طبعة الدار السلفية للنشر والتوزيع ـ الإسكندرية ـ والمكتبة التوفيقية ـ القاهرة، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[٦] التعليقات السلفية على العقيدة الطحاوية ـ لفضيلة الشيخ / عبد العزيز ابن باز، وفضيلة الشيخ / محمد ناصر الدين الألبانى، وفضيلة الشيخ / فوزان بن عبد الله الفوزان، جمع وترتيب مصطفي أمين عطا الله ـ طبعة دار البصيرة، الإسكندرية ـ الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .

[٧] التمهيد ـ للإمام/ عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي أبو محمد ابن عبد البر ـ تحقيق د/ محمد حسن هيتو ـ طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

[٨] الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر - د/ صلاح الصاوي - طبعة دار الإعلام الدولى، القاهرة - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤.

[٩] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - للإمام / ابن القيم - طبعة المكتبة القيمة ، القاهرة - بدون رقم الطبعة والتاريخ.

[١٠] الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى - للشيخ عيد عباسي - بتعليق الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني - طبعة دار الإيمان، الإسكندرية.

[١١] السُّنَّة - للإمام / عبد الله بن أحمد بن حنبل - طبعة دار البصيرة - الإسكندرية - مصر، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[١٢] الشريعة - للإمام / أبي بكر محمد بن الحسين الآجري - تقديم الشيخ / ياسر برهامي - طبعة دار البصيرة - الإسكندرية - مصر، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[١٣] الصلاة وحكم تاركها - للإمام / ابن القيم - بتحقيق الأستاذ / سيد بن إبراهيم بن صادق عمران - طبعة دار الوليد - السعودية - ودار الحديث مصر، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[١٤] العذر بالجهل والرد على بدعة التكفير - للشيخ / أحمد فريد - طبعة الدار السلفية ، بالإسكندرية ، - الطبعة الثالثة - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

[١٥] العبودية - لشيخ الإسلام ابن تيمية - تعليق الشيخ محمد سعيد رسلان - طبعة مكتبة البلاغ ، أشمون ، المنوفية ، مصر - الطبعة الخامسة - ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤ .

[١٦] العقيدة في الله ، للأستاذ الدكتور / عمر سليمان الأشقر - طبعة دار النفائس، بالأردن، ودار السلام، بمصر ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

[١٧] الفوائد ، للإمام / ابن القيم ـ طبعة دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

[١٨] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ للشيخ/ محمد فؤاد عبد الباقي ـ طبعة دار الحديث ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

[١٩] المفردات في غريب القرآن ـ للإمام/الراغب الأصفهاني ـ طبعة / مكتبة نزار مصطفي الباز ـ السعودية ـ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

[٢٠] الموافقات ـ للإمام الشاطبي ـ بتعليق الشيخ/ عبد الله دراز، وخرج أحاديثه الأستاذ/ أحمد السيد سيد أحمد على ـ طبعة المكتبة التوفيقية ـ مصر، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[٢١] الوابل الصيب من الكلم الطيب ـ للإمام ابن القيم ـ طبعة دار المنار ـ القاهرة ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

[٢٢] آداب المفتي والمستفتى ـ للشيخ عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهروزي أبو عمرو بن الصلاح ـ تحقيق د/ موفق عبد الله عبد القادر ـ طبعة مكتبة العلوم والحكم ، عالم الكتب، بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

[٢٣] أصول الفقه ، للشيخ/ محمد الخضري، طبعة دار الحديث، القاهرة ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م .

[٢٤] أهل السُّنَّة والجماعة أصحاب المنهج الأصيل والصراط المستقيم ـ للدكتور/ عمر سليمان الأشقر ـ طبعة دار النفائس ـ الأردن ـ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

[٢٥] إحياء علوم الدين ـ للإمام أبي حامد الغزالي ـ طبعة المكتبة التوفيقية بالقاهرة، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[٢٦] إغاية اللهفان من مصايد الشيطان ـ للإمام / ابن القيم ـ بتحقيق / مجدي فتحي السيد ـ طبعة دار الحديث ـ الطبعة الخامسة ـ ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

[٢٧] إقتضاء الصراط المستقيم ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ طبعة دار الحديث ـ القاهرة ـ بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[٢٨] بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعة الكلامية ـ لشيخ الإسلام / ابن تيمية ـ تحقيق / محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ـ طبعة مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢ هـ .

[٢٩] تفسير الجلالين ـ للإمامين / جلال الدين السيوطى، وجلال الدين المحلي ـ طبعة دار الحديث، القاهرة ـ بدون تاريخ.

[٣٠] تفسير المنار ـ للشيخ / محمد رشيد رضا .

[٣١] تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ـ للشيخ / سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ـ طبعة مكتبة الرياض الحديثة،الرياض.

[٣٢] جامع العلوم والحكم ـ للإمام / ابن رجب الحنبلي ـ تحقيق / عبد الله منشاوي ـ مكتبة الإيمان بالمنصورة ـ مصر ـ الطبعة الأولى١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

[٣٣] حكم تارك الصلاة ـ للعلامة / محمد ناصر الدين الألباني ـ تقديم الشيخ / على حسن عبد الحميد ـ طبعة دار السماء العربى، مصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

[٣٤] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ لأبي نعيم الأصفهاني ـ طبعة دار الكتاب العربى، بيروت ـ الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٥ ـ

[٣٥] رفع اللائمة عن فتوى اللجنة الدائمة ـ للشيخ / محمد بن سالم الدوسرى، وتقديم أصحاب الفضيلة : الشيخ / عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان، والشيخ / عبد العزيز عبد الله

الراجحي، والشيخ/ سعد بن عبد الله آل حميد، والشيخ/ عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد - طبعة دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، السعودية - الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

[٣٦] روح المعاني - للإمام/ الألوسي - طبعة دار الغد العربي - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

[٣٧] روضة المحبين - للإمام ابن القيم - خرج أحاديثه / مسعد كامل - قدم له الشيخ / مصطفي العدوي - طبعة دار ابن رجب، المنصورة، مصر - الطبعة الأولى - ١٢٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

[٣٨] شرح العقيدة الأصفهانية - لشيخ الإسلام/ ابن تيمية - تحقيق / إبراهيم سعيداي - طبعة مكتبة الرشد، الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ.

[٣٩] شرح العقيدة الطحاوية - للعلامة/ ابن أبي العز الحنفي - طبعة المكتب الإسلامي - الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

[٤٠] شرح العقيدة الواسطية - لابن عثيمين - تحقيق هاني الحاج - طبعة المكتبة التوفيقية، القاهرة - بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[٤١] شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة - للإمام/ أبي الحسن بن منصور الطبري اللالكائي - بتحقيق سيد عمران - طبعة دار الحديث القاهرة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

[٤٢] شرح أصول الإيمان - لابن عثيمين - ضمن مجموعة رسائل في الأصول - طبعة دار البصيرة، الإسكندرية - بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[٤٣] صحيح البخاري بحاشية السندي - طبعة دار إحياء الكتب العلمية - القاهرة، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[٤٤] صحيح مسلم بشرح النووي - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

[٤٥] طريق الهجرتين وباب السعادتين - للإمام ابن القيم - تحقيق سيد عمران - طبعة دار الحديث - القاهرة، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[٤٦] فتاوى العلماء حول الدعوة والجماعات الإسلامية - جمع وترتيب أبو أنس صلاح الدين محمود السعيد - طبعة دار الإيمان، ودار القمة، الإسكندرية، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[٤٧] فتح الباري شرح صحيح البخاري - للحافظ/ ابن حجر العسقلاني - بتحقيق ابن باز - وترقيم / محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة دار المنار - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

[٤٨] فضل الغني الحميد تعليقات مهمة على كتاب التوحيد - للشيخ / ياسر برهامي - طبعة دار الإيمان - الإسكندرية - مصر - طبعة جديدة منقحة ومزيدة.

[٤٩] قاعدة في المحبة - لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق د. محمد رشاد سالم - طبعة مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

[٥٠] قراءة نقدية لبعض ما ورد في كتاب ظاهرة الإرجاء - للشيخ / ياسر برهامي - تقديم د/ أحمد فريد، ود/ سيد حسين العفاني - طبعة الدار السلفية للنشر والتوزيع - الإسكندرية - مصر - الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

[٥١] كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب - للإمام/ أبي بكر محمد بن اسحق بن خزيمة - بتخريج وتعليق / عبد الله بن عامر - طبعة دار الحديث - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

[٥٢] كتاب الزهد - لشيخ الإسلام/ عبد الله بن المبارك - بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

[٥٣] لقاءات الباب المفتوح - للشيخ ابن عثيمين - طبعة دار البصيرة - بدون رقم وتاريخ الطبعة.

[٥٤] ما هكذا الحقيقة يا أبا رحيم - للشيخ / أبو عبود عبد الله بن عبود أحمد با حمران - طبعة مكتبة شبام، اليمن - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

[٥٥] مدارج السالكين بين منازل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ للإمام / ابن القيم - تحقيق وتعليق / أحمد فخري الرفاعي ، عصام فارس الحرستاني - طبعة دار الجيل ، بيروت .

[٥٦] مختصر تفسير القرآن العظيم - اختصار وتحقيق العلامة / أحمد محمد شاكر، وأتمه أنور الباز - طبعة دار العقيدة - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.

[٥٧] مسألة الإيمان دراسة تأصيلية - للشيخ/ علي بن عبد العزيز بن علي الشبلي - بتقريظ د/ صالح بن فوزان الفوزان - والشيخ /عبد الله بن سليمان بن منيع - والشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان - من شبكة الإنترنت موقع صيد الفوائد .

[٥٨] معارج القبول - للشيخ/ حافظ بن أحمد الحكمي - بتعليق وتخريج عمر بن محمود أبو عمر - طبعة دار ابن القيم - ودار ابن عفان - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

[٥٩] مفتاح دار السعادة - للإمام ابن القيم - تحقيق الشيخ / محمد بيومي - طبعة مكتبة الإيمان ، المنصورة، مصر، بدون رقم وتاريخ الطباعة.

[٦٠] وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين - للعلامة / محمد ناصر الدين الألباني - طبعة المكتبة الإسلامية، عمان ، الأردن - الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

[٦١] برنامج المكتبة الشاملة الإصدار الأول - نفع الله مصممه وأجزل له المثوبة.



فهرس



فهرس

رقم الصفحة

